بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٣٤ - ربيع الأول ١٤٣١هجرية قمرية

اسفند ١٣٨٨هجرية شمسية / مارس (آذار) ٢٠١٠

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦ ٩٨٢١ + هاتف: ٨٨٣٢١٤١١ ٩٨٢١ +

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥-١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٣٤

المذهبية والطائفية..... ٤

التوحيد في المفهوم القرآني..... ٦

وقفات عن فكر الإمام الخامنئي..... ١١

قبس من السيرة النبوية..... ٢٠

من مظاهر التعامل المذهبي..... ٢٥

التنوع المذهبي والشباب..... ٣٧

منهج السيد الحكيم في التقريب..... ٤٣

السلفية الواعية في فكر الشيخ محمد الغزالي..... ٥٦

من الخطاب التقريبي لشيخ الأزهر عبدالمجيد سليم..... ٦١

التقريب في فكر عبدالرحمن الكواكبي..... ٧٠

منهج الحوار للتخلص من الطائفية..... ٨١

منهج الشيخ كاشف الغطاء في التقريب..... ٩١

البيان الختامي..... ٩٨

واحة الشعر..... ١٠٥

أخبار التقريب..... ١١٤

المذهبية والطائفية

مؤتمر الوحدة الإسلامية انعقد هذا العام في أسبوع الوحدة (١٢ – ١٧) ربيع الأول تحت عنوان: «الأمة الإسلامية بين التنوع المذهبي والطائفية».

شارك في المؤتمر نخبة من العلماء والمفكرين، وخلال ثلاثة أيام قدّم المشاركون أوراقًا لامست عنوان المؤتمر من قريب أو بعيد.

كل المشاركين أجمعوا على أن الفرق كبير بين المذهبية والطائفية.

المذهبية تنوّع طبيعي منشؤه طبيعة البشر، وطبيعة الرسالة الإسلامية القائمة على أساس الاجتهاد واحترام ما توصّل إليه الإنسان بعد جهد فكري.

المذهبية ظهرت في التاريخ الإسلامي، وكانت مبعث خير وبركة وثراء فكري، وكان بين علماء المذاهب احترام متقابل، وتبادل في الآراء، وعلاقة أستاذ وتلميذ.

المذهبية حياة لأنها تدلّ على حركة في الفكر والعلم والبحث والتحقيق والتمحيص.

أما الطائفية فهي على العكس من ذلك:

إنها تعصّب منشؤه الجهل وضيق النظر والأمراض النفسية. الطائفية برزت على أثر هبوط الروح الحضارية في المجتمع

الإسلامي، وضعف الشعور بالعزّة والكرامة.

الطائفية كانت وراء معظم مصائب العالم الاسلامي من اقتتال وتنافر وتباغض وبالتالي من تراجع في مكانة المسلمين على ظهر الأرض.

الطائفية كانت في عصرنا الحديث الثغرة الكبيرة بل البوابة التي دخل منها أعداء الأمة ليركزوا سيطرتهم على العالم الإسلامي وليذلّوا المسلمين ويستعمروهم.

ولا بدّ من التفريق بين المذهبية والطائفية، كي لا تختلط الأوراق، ولا تتعثر المعالجات. وهذا ما نهض به المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في مؤتمره الأخير، وخرج بمقررات يجدها القارئ في البيان الختامي على صفحات هذا العدد.

« كانت هذه الولادة (ولادة رسول الله) بداية مرحلة حاسمة في مصير البشرية. في آيات ولادته المباركة قيل إن شرفات قصر كسرى قد انهدمت، ونيران «آذرگشسب» بعد قرون من الاشتعال قد خمدت، وبحيرة ساوة التي كان ينظر إليها بعض الناس بعين التقديس قد جفّت، والأصنام التي كانت معلقة حول الكعبة قد سقطت. وهذه العلامات لها دلالات رمزية، تدلّ على اتجاه إرادة الله وسننه في إلباس خلعة الوجود لهذا الموجود العظيم والشخصية الفريدة الكبرى.

الإمام الخامنئي

التوحيد في المفهوم القرآني

محمد حسين الطباطبائي*

• كل الاعتراضات التي تثار بوجه المبادئ الدينية منطلقها الروح المادية • القرآن أرجع كل ظاهرة كونية إلى عللها الطبيعية • الإنسان بما وهبه الله من قدرة يستطيع أن يكتشف جزءًا صغيرًا من قوانين هذا الكون • على الإنسان أن يفهم وجوده كجزء من هذا الكون • التصور الإلهي للكون إضافة إلى واقعيته يمنح الإنسان الأخلاق والملكات السامية.

إن العالم الذي نعيش فيه اليوم يشهد تطوراً سريعًا لم يسبق له مثيل في جميع المرافق الفنية والعلمية، كما أن جميع الطاقات قد حشدت من أجل إيجاد أحسن السبل لرفع احتياجات الإنسان، وهذا الاهتمام الكبير بتسخير الطبيعة وتذليلها في طريق تحقيق الأهداف البشرية يتطلب مزيدًا من العمل والنشاط، وتراكم الأعمال يدعو بطبيعته إلى ضرورة الإسراع في إنجازها وعدم التفريط بأية لحظة دون الاستفادة منها إلى أقصى حد ممكن.

* - العلامة الكبير، صاحب تفسير «الميزان».

إلا أن الذي ينبغي الالتفات إليه هو أن الإنسان مهما أراد توسيع نطاق أعماله فهو محدود الطاقات والقابليات، فإن صرف همه في جانب فلابد أن يكون على حساب جانب آخر.

ومن هنا فإن انصراف الإنسان اليوم بجميع طاقاته وملكاته نحو المسائل المادية قد أدى إلى غلظة في حسه المادّي وإلى سيطرة الماديات على المعنويات.

إن مطالعة التاريخ ومراجعة الأوضاع الدينية للناس على مرّ العصور تدلنا بما لا يقبل الشك على ان البشرية متى ما أسرفت في الجانب المادي من حياتها ضعفت روحها المعنوية ونسيت قيمها الدينية.

إن كل الاعتراضات والتشكيكات التي تثار ضد المبادئ الدينية والأسس المعنوية إنما تنبع من هذه الروح المادية، وإن المتتبع ليرى أن هذه التشكيكات تتكرر بالذات في عصور مختلفة، تثور حينًا لتواجه أجوبة رادعة، فتخمد لتعود في فترة أخرى أيضًا. وهذه مسألة غفل عنها أولئك الذين خالوا أن الشك الديني وليد عصر العلم!!.

إن الدغدغات المادية وإيحاءات الغرائز تتراكم في النفس البشرية فتملأ شعور الإنسان لتسوقه نحو الابتعاد عن العقل السليم، ويبدأ عندها اللسان يهذي بذم جميع المعنويات.

إننا نرى اليوم بعض هذه الألسن تتحرك لتقول: إن التعليمات الدينية تصلح لسكان الخيام ولا تجدي نفعًا لإنسان اليوم الذي غاص في أعماق المحيطات وحلق بين الكواكب.. ولتقول أيضا: إن الدين يدفع الإنسان لأن يعيش عالمًا غيبيًا موهومًا وهو بذلك

يشل الإنسان عن ممارسة أعماله العلمية في حقل استثمار الطبيعة.

هذه الاعتراضات ليست بالجديدة، فهي كما قلنا وريثة التكذيب والتشكيك والافتراء الذي جوبهت به الدعوة الدينية في مختلف العصور.

لابد أن نشير في هذا الصدد إلى مسألة هامة هي أن العلوم الطبيعية، وإن استطاعت أن تسلط الضوء على بعض المجهولات وتحل بعض الإلغاز، إلا أنها محدودة ومختصة في مجالها المعين ولا يمكن أن تكشف المجهولات الخارجة عن إطارها.

فعلم النفس مثلا لا نتوقع منه أن يحل لنا المسائل الفلكية.. والعلوم الطبيعية هي الأخرى ينبغي أن لا نزجّها في فهم المسائل الروحية والميتافيزيقية.

فالعلوم الطبيعية محايدة بالنسبة لما وراء الطبيعة لا تثبت ولا تنفي. بل تترك المجال لمنطق الدين كي يعالج المسائل الميتافيزيقية ويسبر أغوارها.

إن منطق القرآن في هذا الصدد يتضح من الحقائق التالية:

١ ـ لم ينكر القرآن الكريم قانون العلية العام، بل ارجع كل ظاهرة كونية إلى عللها وأسبابها الطبيعية، وهذه الحقيقة واضحة في كل سياق الكتاب الكريم.

والإنسان، كموجود صغير جدًا من هذا الكون، هو الآخر محكوم خلال مسيرة حياته وفي مصيره ومآبه بالقوانين التي تسيّر الموجودات، وليس له استقلال عن الظواهر الطبيعية التي تحيطه، ولا يستطيع أن يقف موقف المصارع المعارض للقوانين والنظم الكونية التي تتحكم فيه وفي جميع الموجودات . بل انه يستطيع

كظاهرة من ظواهر هذا الكون أن يستفيد من قواه المودعة فيه لتنفيذ مآربه التي لا تتحقق إلا إذا كانت مسايرة لسائر العلل والأسباب التي تتحكم في الوجود.

٢ -يؤكد القرآن الكريم على أن زمام أمور الكون بجميع أجزائه بيد ربّ واحد يسير هذا الكون طبقًا لقوانين ونواميس معينة، وهذا ما تدعو إليه الفطرة أيضا.

فالوجود المستقل الوحيد في هذا الكون هو وجود ربّ العالمين الذي لا يحتاج في وجوده إلى شيء خارج ذاته، وكل الأشياء التي نفترضها محتاجة إليه. وهو المصدر الوحيد الذي يمكن اللجوء إليه والركون عنده بكل ما في الكلمة من معنى.

٣ -يصرح القرآن الكريم بأن علم الإنسان محدود والله تعالى هو الذي تفرّد بعلم الغيب الذي يحيط بخصائص جميع الأشياء.

والإنسان يستطيع بما وهبه الله من قدرة محدودة أن يكتشف جزءًا يسيرًا جدًا من قوانين هذا الكون. وهذا القدر الذي يهديه عقله إليه هو ضئيل جدًا بالنسبة لما يحيط الإنسان من مجهولات لا متناهية.

انطلاقًا من هذه النظرة فإن من الجهل والغباء أن يلجأ الإنسان إلى القوانين المحدودة التي اكتشفها ويركن إليها ويعتبرها أساسًا مستقلاً لمسيرة هذا الكون، ومن الجهل أيضًا أن يعزف الإنسان عن العلة التامة التي تتحكم في هذا الوجود لمجرد أنه توهّمها مخالفة لميوله ورغباته.

والحقيقة العملية التي يمكن أن نحصل عليها من كل هذه المقدمات هي أن الإنسان ينبغي أن يفهم وجوده كجزء من هذا

الكون.. تتحكم فيه القوانين والعلل التي تسيّر هذا الوجود، وينبغي ان يركن ويلجأ إلى من بيده زمام هذه القوانين ومن هو علّة جميع العلل وهو الله تعالى، وأن لا ينبهر بالقوانين المحدودة التي اكتشفها ليجعل منها ربًا موهومًا.

ودعوة القرآن الكريم هذه لا تطالب الإنسان بإهمال القوانين والعلل الكونية التي استطاع أن يكتشفها ولا تدعوه إلى الجلوس في انتظار الفرج الغيبي للوصول إلى أهدافه وغاياته، إذ العامل الغيبي لا يؤثر إلا عن طريق العلل والأسباب.

والإنسان مكلف بالاستفادة مما وهبه الله من قدرة لاكتشاف القوانين التي تتحكم في هذا الكون والاستفادة منها لأغراضه وغاياته، على ان لا يلجا ويركن إليها، بل يفهم نفسه كجزء من هذا الكون محكوم بقوانينه ونواميسه ويلجأ إلى الله الذي ترجع إليه جميع العلل والأسباب والقوانين.

هذا التصور إضافة إلى واقعيته فإنه يهب الإنسان مجموعة من الأخلاق الفاضلة والملكات الإنسانية السامية، كالتفاؤل والصبر والعزيمة والشهامة والإحساس بالارتباط بقوة جبارة لا تفنى ولا تقهر.

إضافة إلى انه يقلع من النفس ما فسد من الصفات ورذل كالتكبر والأنانية والزهو والخيلاء والجزع والضعة واليأس والضعف وغيرها من الصفات الذميمة التي تعتري النفس الإنسانية.

إن هذا البحث وان كان قد اتخذ طابعًا فلسفيًا إلا أن جميع مضامينه قد استقيت من القرآن الكريم، ولا يخفى ذلك على كل من أمعن النظر في كتاب الله العزيز.

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

حديث سماحته في لقائه بالسادة المشاركين

في مؤتمر غزة بطهران بتاريخ ٢٧ فبراير ٢٠١٠

• يجب تعميق المعنويات لدى الصامدين من أهلنا في فلسطين • العنصر المعنوي هو الطاقة الكامنة وراء تصاعد المقاومة • انتصار الشعب الفلسطيني على العدوّ الصهيوني ليس بأصعب من انتصار الشعب الإيراني على نظام الطاغوت • الاستقامة لازمة والصمود لازم واستدامة الطريق لازمة • غزة وفلسطين اليوم ميدان لفضيحة الغرب في ادعائه الدفاع عن حقوق الإنسان • مسألة فلسطين ليست مسألة جغرافية بل مسألة إنسانية • مسألة فلسطين بالنسبة لنا في إيران هي مسألة عقيدة • في حرب غزّة تدفق شبابنا على المطار ليوصلوا أنفسهم إلى غزّة، ولم يعودوا إلاّ حينما طلبت منهم ذلك • طريق إنقاذ فلسطين إنما هو طريق الكفاح •الشرق الأوسط الجديد سيتشكل، انه سيكون الشرق الأوسط الإسلامي

إن ما مر على الشعب الفلسطيني ـ خلال هذه السنوات الأخيرة ـ حيث اندلعت الانتفاضات وتشكلت المقاومة الواقعية يشكّل ظاهرة عجيبة وهي لا تعبّر إلا عن هداية ومعونة إلهية.

إن المرء ليشهد شعب غزة والمصائب والمرارات والضغوط تصب عليه سواء في اثنين عشرين يومًا من الحرب أو ما حصل بعدها من مصائب تترى، ولكنه يبقى صامدًا صمود الجبل، انه لواقع عظيم جدًا لا يمكن إغفاله. وما أريد التأكيد عليه هو أن هذه المعنويات وهذه الاستقامة يجب تعميقها في الشعب.

لقد ذكرتم ـ وهو الحق ـ أن السبيل الوحيد لحل مسألة فلسطين هو المقاومة والكفاح، لكن المقاومة والصراع متوقفان على استدامة الروح المعنوية في الشعب، واستمرار الأمل لديه، وثباته في الميدان، وهذا ـ في رأيي ـ هو أكبر الأعمال التي يجب أن تقوم بها الفصائل الفلسطينية ، والمنظمات الفلسطينية ، والمجاهدون الفلسطينيون.

إن هذه الضغوط الموجهة لغزة اليوم من الطرفين، سواء من العدو الصهيوني أو من الطرف الآخر، إنما تستهدف أن يُعرض الشعب عن المقاومة، وكذلك فإن الضغوط على الضفة الغربية سواء ببناء المستوطنات، أو الضغوط الموجهة للقدس، أو التضييق العجيب وبناء الجدار العازل وأمثال ذلك، كل ذلك لينصرف الشعب عن المقاومة ويتجه نحو خيار التسليم. كلا يجب أن تمنعوا ذلك، يجب أن يبقى الشعب الفلسطيني، وشعب غزة، هذا الشعب الحديدي ، آملاً بالمستقبل. وان هذه الحركة العظيمة سوف تصل

إلى نتيجتها المرجوة . كانت هذه هي النقطة الأولى وهي في رأيي مهمة جدًا.

أما النقطة الأخرى فهي أن ما نلحظه في قضية فلسطين من تقدم مشهود وواضح لا يقبل الإنكار، حيث التنامي المتتابع يومًا بعد يوم لجبهة المقاومة في قبال جبهة الاستكبار والكفر، إنما هو ناشئ من الإيمان بالله والتوكل عليه وتطعيم الكفاح بالعنصر المعنوي، وإذا فقد الكفاح عنصر الإيمان فإنه سيتعرض للضعف والانهيار، وإنما يوفق الصراع إذا اقترن بالإيمان بالله والتوكل عليه، فيجب تقوية الروح الدينية والإيمان الحقيقي بالوعود الإلهية والتوكل عليه تعالى وحسن الظن به وبوعوده، وبطبيعة الحال يجب أن نعتمد نحن على الله تعالى ونحسن الظن به وهو أصدق القائلين ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ وفي الحديث الشريف: «من كان لله كان الله له» ويطلب ان لا نخشى العدو، ويقول تعالى ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ وهو تعالى الصادق، فإذا عملنا بواجباتنا وتحركنا لله وكافحنا لله واستهدفنا رضاه فإن النصر سيكون من نصيبنا بلا شك.

إنني أؤكد لكم أن انتصار الشعب الفلسطيني في استعادته لحقه ليس أصعب من النصر الذي حققه الشعب الإيراني وأوجد به الجمهورية الإسلامية، ذلك أن من يلحظ ذلك اليوم، يوم حكم الطاغوت لهذا القطر، ويشاهد الوضع العالمي والإقليمي سوف يتأكد أن تغيير نظام الطاغوت، وبالخصوص إلى النظام الإسلامي غير ممكن وفق الموازين الطبيعية والعادية؛ حيث القدرة

الأمريكية في المنطقة ودعمها غير المشروط لنظام الشاه وحيث انعدام الإمكانات للمكافحين، بمعنى ان إمكاناتنا في صراعنا ذلك اليوم كانت أقل بكثير من إمكاناتكم وإمكانات شعبكم في غزة والضفة اليوم، ورغم كل ذلك فقد تحقق هذا المحال وعاد ممكنًا وواقعًا، وذلك ببركة استمرار الكفاح، والتوكل على الله، وبركة توفر القيادة المصممة القاطعة لإمامنا الكبير. وأنا أؤكد هنا أن هذا الأمر يمكن ان يتحقق في فلسطين. إن البعض عندما يشاهد القدرة الأمريكية، والدعم الغربي للصهاينة، وقدرة الشبكات المالية لهم في أمريكا وسائر نقاط العالم، وهيمنتهم الإعلامية، يتصور أن موضوع إعادة فلسطين للفلسطينيين أمر غير ممكن. أنني أقول: كلا إن هذا الأمر اللاممكن سيعود ممكنا بشرط الصمود والاستقامة، إن الله تعالى يقول: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أُمرت﴾ إن الاستقامة لازمة والصمود لازم، واستدامة الطريق لازمة.

ومن مقدمات هذه الاستدامة هذه اللقاءات وهذا التنسيق، وهذا النشاط الإعلامي على المستوى العالمي..

وما أود التذكير به أن غزة وفلسطين اليوم ميدان لفضيحة الغرب؛ إنه بادعائه لحقوق الإنسان يتغافل عن أكبر وأشد نقض لحقوق الإنسان في غزة، وقد مرت أيام طوال في السنة الماضية لم ينبس الغرب فيها ببنت شفة لصالح شعب غزة ودفاعًا عنهم. نعم عندما تعالت أصوات الشعوب في الأقطار المختلفة وسارت المظاهرات وارتفعت أصوات الاعتراض وعلت الفضائح بدأوا

بالحديث، والحديث فقط.

إن الغرب لم يدعم شعب غزة رغم هذه الفاجعة العظيمة التي وقعت امام الأعين. وها هو لحد اليوم يقف نفس تلك المواقف. وهاهي الأمم المتحدة تفضح نفسها، أما أمريكا فكانت مفضوحة وعادت أكثر فضيحة. ورغم تقرير غولدستون واطلاعهم عليه جميعًا مما يوجب عليهم أن يقدموا القادة الجناة المجرمين للنظام الصهيوني للمحاكمة والعقاب، ولكن لا أثر لذلك، وليس هناك أي إجراء بل مازال الدعم لهذه الدولة الغاصبة والصنيعة الصهيونية يتزايد. إن هذه الأمور قد فضحت الغرب. وهذه أمريكا ودولتها الجديدة ورئيسها الجديد ادعى أنه يسعى للتغيير ولكن هذا الشعار لم يكن إلا ليستر الحالة السيئة التي وصلت إليها في هذه المنطقة الإسلامية عسى يتم ترميمها ولكنها لم تستطع ذلك، وليعلموا أنهم لن يستطيعوا ذلك حتى النهاية لأنهم يكذبون، نعم يكذبون بصراحة أمام الشعوب وفي قضايا كثيرة.

ونحن الآن في الجمهورية الإسلامية نشهد دائمًا أكاذيبهم ونسمعها؛ قلب الحقائق، والوقائع اعتدنا عليه خلال ثلاثين عامًا. إلا أن العالم والتاريخ سوف يحكمان عليها، إن المدنية الغربية تقف اليوم تجاه القضية الفلسطينية أمام تحديات، وتقف الليبرالية الديمقراطية كذلك أمام تساؤلات. ويعني ذلك أنكم في فلسطين بمقاومتكم فضحتم ادعاء الغرب لمئات السنين كان الغرب يتحكم من خلاله بالعالم، وأبطلتموه. نعم إن المقاومة مهمة إلى هذا الحد وعظيمة.

إن مسألة غزة ليست مسألة قطعة من الأرض، ومسألة فلسطين ليست مسألة جغرافية بل هي مسألة إنسانية بشرية، إن مسألة فلسطين تمثل معيارًا للالتزام بالمبادئ الإنسانية أو معاداة هذه الأصول، إنها تبلغ إلى هذا المستوى من الأهمية. وستواجه أمريكا الخسارة في تعاملها أيضًا، إن هذه الأمور التاريخية، لعشر سنوات أو عشرين سنة أو ثلاثين سنة من التحولات تمثل لحظة واحدة سوف تنقضي، وسينهزم بلاشك تاريخ أمريكا ومستقبل أمريكا أمام هذه الحركة التي قام بها الأمريكيون خلال الخمسين سنة الأخيرة بالنسبة لقضية فلسطين، وستتحول فلسطين إلى عار على أمريكا وخلال القرون المتمادية الآتية. إن فلسطين ستتحرر بلا شك، نعم ستتحرر فلسطين وستعود إلى أهلها، وستشكل هناك دولة فلسطين دون أي ترديد، ولكن عار أمريكا وعار الغرب لن ينمحي، إنهم سيرتكسون في العار. ولا شك وفقًا للتقدير الإلهي **إن الشرق الأوسط الجديد سيتشكل، انه سيكون الشرق الأوسط الإسلامي**، كما أن مسألة فلسطين مسألة إسلامية، وكل الشعوب مسؤولة أمامها، نعم كل الشعوب وكل الحكومات مسؤولون تجاه فلسطين سواء في ذلك الدول الإسلامية أو غير الإسلامية. ان كل حكومة تدعي نصرتها للقضايا الإنسانية مسؤولة ولكن واجب المسلمين أعظم، إن الحكومات الإسلامية مسؤولة ويجب أن تتحمل مسؤولياتها، وكل حكومة لا تتحمل مسؤوليتها تجاه فلسطين ستواجه الجزاء المناسب، لأن الشعوب قد استيقظت وهي تطالب حكوماتها، وعلى هذه الحكومات الرضوخ و التسليم بهذا الأمر.

إننا في الجمهورية الإسلامية لا نعد مسألة فلسطين مسألة تكتيكية، ولا مسألة إستراتيجية سياسية بل هي مسألة عقيدة، مسألة قلب، مسألة إيمان، ولذا فليس هناك بيننا وبين شعبنا أية فاصلة في هذا المجال، وبنفس المستوى الذي نولي الاهتمام فيه لموضوع فلسطين فإن شعبنا يهتم أيضًا بها، إن أولئك الذين يعرفون حقيقة المسألة هم الأكثرية الساحقة لشعبنا بل كل الشعب، نعم كلهم يحملون تلك الدوافع. وها أنتم تشهدون هذا الشعب في يوم القدس العالمي في شهر رمضان وآخر جمعة منه حيث أعلنه الإمام يومًا للقدس، كيف ينطلق هذا الشعب في المدن الكبيرة والصغيرة وحتى في القرى والأرياف في مظاهرات هي في مستوى مظاهرات الحادي عشر من فبراير يوم انتصار ثورتنا الإسلامية. طبعًا هذا يرتبط بشعبنا وقطرنا، حيث يبدي الشعب في يوم القدس نفس المشاعر التي يبديها يوم الحادي عشر من فبراير، إنه ينطلق في كل المدن الكبيرة والصغيرة والأرياف رغم حرارة الجو أو برودته، ويتظاهر في الشوارع ليعلن حضوره ودوافعه. واعلموا إننا نحن المسؤولين لو لم نقف أمام الشعب فإن الكثير من الشباب كانوا سيتحركون ويضحون بأجسامهم في الميدان الفلسطيني. وفي قضية غزة تحرك شبابنا إلى المطار وأصروا على الذهاب ولم تنفع معهم كل المناشدات، إلا أنهم انصرفوا عن ذلك بعد أن وجهتُ لهم رسالة بذلك، ولو لا ذلك فإنهم لم يكونوا على استعداد للعودة، لقد كانوا يصرون على الذهاب إلى غزة، منادين بأن علينا أن نحملهم إلى هناك وهم يتصورون أنفسهم قادرين على الوصول. هذه هي دوافع شبابنا.

إن مسألة غزة ومسألة فلسطين هي مسألتنا، مسألتنا الإسلامية، مسألة كل المسلمين، ووظيفتنا، وما نفعله لها هو واجبنا ولا منّة لنا على أحد، إنه واجبنا قمنا به، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا كي نؤدي واجبنا إن إسرائيل لا مصداقية لها في طلب السلام، بل حتى لو كانت صادقة فهي أيضًا على خطأ ولا حق لها هنا، وأولئك الذين ساروا على خط المحادثات اضطرّوا للقبول بأمور فرضها العدو، ولو أنهم خرجوا قيد أنملة عن هذا الخط المفروض فإنهم سيحذفون أو يهانون، وقد لاحظتم أنتم نماذج الأمرين ورأيتموها، فقد حُذف البعض وأهين البعض الآخر وحقّر.

إن طريق القدس، طريق فلسطين طريق نجاة فلسطين، وحل مسألة فلسطين ليس إلا طريق الكفاح، وهذا ما أكده السادة الحاضرون، إنني لفرح ان أرى إجماعكم على ذلك وقبولكم له، ومن لا يقبل ذلك يوجّه ـ أحسّ أم لم يحس ـ ضربة إلى مسألة فلسطين، ولو علم بذلك فهي الخيانة وإلا فهو الجهل ولكنها على أي حال ضربة توجه للمسألة الفلسطينية. ليس لفلسطين سبيل إلا المقاومة، هذا ما يجب أن تكرره.

واضحٌ أن الكثير من الحكومات العربية قدمت امتحانًا سيئًا في قضية غزة والقضايا الأخرى التي سبقتها. متى ما كانت مسألة فلسطين تطرح كانت هذه الحكومات تؤكد على أنها مسألة عربية، ولكن عندما حان وقت العمل حذفت مسألة فلسطين تمامًا من معادلاتهم، إن لم يعتقدوا بالإسلام فليلتزموا بالعروبة على الأقل، نعم عندما حان وقت الجد والعمل، تراجع الجميع من الميدان، وكان الامتحان السّيء. إنها أمور ستبقى في التاريخ

وهذا لا يرتبط بعالم الجزاء والآخرة فحسب بل إن الحال في الدنيا كذلك، وكذلك هو الحال في مسألة النصرة التي هيأها الله لكم انتم المجاهدون فإنها لا ترتبط بالآخرة فقط، هذه الآية التي تليت ورددها الأخ خالد مشعل تقول فيها الملائكة ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ ليس في الآخرة فحسب، ان ملائكة الله والقوى الإلهية المعنوية تدعم هذا المسير وتقوي أولئك الذين ﴿قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ . وها نحن نشهد ذلك في الدنيا بأم أعيننا. إن هذه القوى دعمتنا في دفاعنا لثمان سنوات، لقد رأينا دعمها بأعيننا، ولينكر ذلك من غرق في المادّيات، لينكر ذلك، ولكننا رأيناه، وملائكة الله تدعمنا اليوم أيضًا، اننا صامدون بعون الله، إن قوانا لا يمكن أن تقاس إلى قوى أمريكا، ولكننا في نفس الحال أقوى من أمريكا، ومع أنها أكثر مالاً وسلاحًا وقدرة إعلامية وإمكانات مالية وسياسية، ولكنها في الوقت نفسه أضعف ونحن أقوى. وآية قوتنا أننا نتقدم في كل الميادين التي نواجه أمريكا فيها وهي تتقهقر خطوة بعد أخرى أما نحن فلا معنى لدينا للتراجع بل نخطو نحو الأمام، وذلك ببركة الإسلام والعون الإلهي وبدعم من ملائكة الله. إننا نعتقد بذلك ونقبله ونعيه ونشاهده بأم أعيننا.

إن القدس الشريف ـ رغم ما قيل من هموم وتخوفات وهي أمور واقعية ـ سوف يعود إلى يد المسلمين. وأرجو أن يشهد ذلك اليوم الكثير منكم بإرادة الله. وسواء أكنا أحياء أم لم نكن فإن شعب فلسطين وشعوب العالم ستشهد ذلك اليوم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قبس من السيرة النبوية

في ذكرى المولد

كان عبدالمطلب قد جاوزَ السبعينَ حين حاولَ أبرهةُ مهاجمة مكة وهدم البيت العتيق، وكان ابنه عبدالله في الرابعة والعشرين من سنّه. فرأى أن يزوّجه فاختار له آمنة بنت وهب. لم يقم عبدالله مع آمنة طويلا، إذ خرج في تجارة إلى الشام وتركها حاملاً.

عرّج عبدالله في سفره على أخواله في المدينة ليستريح عندهم من وعثاء الطريق، لكنه مرض هناك، وتوفّي، ودفن في المدينة.

وتقدّمت بآمنة أشهر الحمل، حتى وضعت، فلما تمَّ الوضع بعثت إلى عبدالمطلب تخبرهُ أنّه ولد له غلام. ففرح كثيرًا، وأسرع إلى زوج ابنه، وأخذ طفلها بين يديه، وسار حتى دخل به الكعبة وسمّاه محمدًا.

انتظرت آمنةُ مجيء المراضع لتدفع محمدًا إلى إحداهنَّ كعادة أشراف العرب من أهل مكّة. وجاءت المراضع، وكنَّ يعرضن عن اليتامى، لأنهنَّ كنَّ يرتجين البرَّ من الآباء. على أنّ حليمة السعدية التي أعرضت عن محمد أوّل الامر كما أعرض غيرها لم تجد من يدفع إليها طفلها. فقالت: والله إني لأكره أن أرجع مع صواحبي ولم آخذ رضيعًا. والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم ولآخذنه. وشجّعها زوجها على أخذ محمد وقال لها: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن

يجعل لنا فيه بركةً، وأخذت حليمةُ محمدًا وانطلقت به مع قومها إلى البادية. وكانت تقول: إنها وجدت فيه منذ أخذته أيَّ بركة: سمنت غنمها، وزاد لبنها، وبارك الله لها في كلّ ما عندَها.

وأقام محمد في الصحراء سنتين ترضعه حليمة وتحتضنه ابنتها الشيماء، وهو يجد في هواء الصحراء، وخشونة عيش البادية ما يسرع به إلى النموّ، ويزيد في وسامة خلقه وحسن تكوينه. فلما أتمّ سنينه وآن فصاله، ذهبت به حليمة إلى أمّه ثمّ عادت به إلى البادية، رغبة من أمّه، في رواية، ومن حليمة في رواية أخرى؛ عادت به حتى يقوى ويبتعد عن وباء مكة. وأقام الطفل بالصحراء سنتين أخريين يمرح في جوّ باديتها الصحو الطلق لا يعرف قيدًا من قيود الروح ولا من قيود المادّة.

عاد محمد بعدها إلى أمّه، فكفله عبدالمطلب جدّه وأغدق عليه كلّ حبّه وأسبغ عليه جمّ رعايته.

خرجت آمنة بابنها إلى المدينة لترى الغلام فيها أخوال أبيه من بني النجّار، وأخذت معها أمّ أيمن الجارية، فلما كانوا في أثناء الطريق بين البلدين مرضت آمنة بالأبواء (قرية بين المدينة والجحفة) وتوفيت ودفنت فيها، وعادت أمّ أيمن بالطفل إلى جدّه.

مات عبدالمطّلب ومحمد في الثامنة من عمره، فكفله عمّه أبو طالب، وكان على فقره أنبل أبناء عبدالمطلب، وأكرمهم في قريش مكانةً واحترامًا.

وقد أحبّ أبو طالب ابن أخيه كحبّ عبدالمطلب له. أحبه حتى كان يقدّمه على أبنائه، وكان يجد فيه من النجابة والذكاء والبرّ وطيب النفس ما يزيده به تعلّقًا. ولقد أراد أن يخرج يومًا في

تجارة له إلى الشام حين كان محمد في الثانية عشرة من عمره؛ ولم يفكّر في استصحابه خوفا عليه من وعثاء السفر واجتياز الصحراء. ولكن محمداً أبدى من صادق الرغبة في مصاحبة عمّه ما قضى على كلّ تردّد في نفس أبي طالب. وصحب الغلام القافلة حتى بلغ بصرى في جنوب الشام، وتروي كتب السيرة أنه التقى في هذه الرحلة الراهب بحيرى، وأنّ الراهب رأى فيه أمارات النبوّة على ما تدُلّه عليه كتب النصرانية.

أبو طالب لفقره وكثرة عياله رأى أن يجد لابن أخيه سببًا مربحاً للرزق. فبلغه يومًا أنّ خديجة بنت خويلد تستأجر رجالاً من قريش في تجارتها. وكانت خديجة امرأة تاجرةً ذات شرف ومال. وقد ردّت خطبة الذين خطبوها من كبار قريش، لأنها كانت تعتقد أنهم ينظرون إلى مالها. ذهب أبو طالب إلى خديجة واقترح عليها أن تستأجر محمدًا في تجارتها، وكان محمد آنذاك في الخامسة والعشرين من سنّه. رحّبت خديجة بالاقتراح. وخرج محمد مع ميسرة غلام خديجة، وانطلقت القافلة إلى الشام. واستطاع محمد بأمانته ومقدرته أن يتّجر بأموال خديجة تجارةً أوفر ربحا مما فعل غيره من قبل.

حين عاد محمد وأخبر خديجة برحلته، أعجبت بأمانته وصراحته، فاقترحت عليه الزواج، فوافق على ذلك.

* * *

كانت رعاية الله سبحانه ملموسةً في كل جوانب حياة محمد قبل بعثته. فأخلاقه وتعامله مع أفراد مجتمعه كانت مثالاً لسلوك الإنسان الصالح، حتى لُقّب في مجتمعه بالصادق الأمين.

في إحدى السنين طغى السيل في مكة، فهدم جدران الكعبة، واجتمعت قبائل قريش لإعادة بنائها. فلما ارتفع البناء إلى قامة الرجل، وآن أن يوضع الحجر الأسود المقدّس في مكانه، اختلفت قبائل قريش أيُّهم يكون له فخار وضع الحجر في هذا المكان. واشتد الخلاف حتى كادت الحرب الأهلية تنشب بينهم. فلما رأوا ما صار إليه أمرهم اتفقوا أن يجعلوا الحَكَم بينهم أول من يدخل باب الصفا. فلما رأوا محمدا أوّل من دخل قالوا: هذا الأمين رضينا بحكمه. وقصّوا عليه مشكلتهم وسمع هو لهم، ورأى العداوة تبدو في عيونهم. فكر قليلا ثم قال لهم: آتوني ثوبًا. فأتي به، فنشره، وضع الحجر بيده فيه، ثم قال: ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف من أطراف الثوب، فحملوه جميعًا إلى ما يحاذي موضع الحجر من البناء، ثم تناوله محمد من الثوب ووضعه في موضعه، وبذلك انحسم الخلاف وانفضَّ الشرُّ، واتمّت قريش بناء الكعبة.

ومن رعاية الله لمحمد أنه كان كثير التفكير في أمور الكون والحياة. وكان ينقطع عن الناس زمنًا في غار حراء (على بعد فرسخين من شمال مكة) ينشغل في التفكير والعبادة. وفي الأربعين من عمره نزل عليه الوحي وهو في هذا الغار. وبذلك بدأت مرحلة جديدة في حياة الرسول.

كانت خديجة أول من آمن بالإسلام، ثمّ آمن عليّ وهو صبيّ لم يبلغ الحلم.

بعد ثلاث سنين من البعثة أمر الله رسوله أن يظهر ما خفي من أمر الرسالة: (وأنذر عشيرتك الأقربين).

ودعا رسول الله عشيرته إلى طعام في بيته، وحاول أن يحدّثهم بأمر الدعوة، فقطع عمّه أبو لهب حديثه، وفرّق القوم. ودعاهم الرسول في اليوم التالي فقال لهم: «يا بني عبدالمطلب إني والله ما أعلم شابًا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟» فأعرض القوم جميعًا إلا عليًا قام وقال: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبته ثم قال: «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا». فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمركَ أن تسمع لابنك وتطيع.

واستمرّ النبيّ الأعظم يدعو الناس إلى التوحيد ونبذ الآلهة المتفرقة المزيّفة، وازدادت ضغوط قريش على محمد وعلى عمّه أبي طالب. جاء جمع من القرشيين يومًا إلى أبي طالب فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سنّا وشرفاً ومنزلةً فينا، وقد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا، وإنا لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وعاب آلهتنا. جاء أبو طالب إلى النبي وحدّثه بأمر قريش، فقال له الرسول: «يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

فأهتزَّ وجود أبي طالب أمام هذه العظمة في الصمود على المبدأ وقال له: إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببتَ، فو الله لا أسلمك لشيء تكرهه أبدًا.

من مظاهر التعامل المذهبي*

محمد على التسخيرى**

• علاقات الصفاء والمحبة كانت قائمة بين العلماء رغم اختلافهم الفكري • كان الشيخ الطوسي يعتمد على ما روي في مصنفات أهل السنة • كثير من علماء الشيعة أساتذتهم من علماء السنة وبالعكس • في حوزة الحلّة نجد فسحة كبيرة للتسامح • الشهيدان الأول والثاني من أبرز نماذج الانفتاح والتمازج الفكري • عبد الله بن أحمد بن حنبل: الخلافة لم تزيّن عليًا بل عليّ زيّنها • الإمام الصادق: رحم الله عبدًا اجترّ مودة الناس.

الدارس لتاريخ العلاقة بين علماء المذاهب يلمح ظاهرتين متناقضتين إحداهما هي «التنوع المذهبي» وتستمد جذورها من روح الإسلام وعقلانيته ومنحه حرية الاجتهاد ووضعه قواعد الحوار

* ـ مقتطف من ورقته التي قدمها إلى المؤتمر الثالث والعشرين للوحدة الإسلامية تحت عنوان «حالتان متناقضتان (المذهبية والطائفية) مظاهرهما وعلل الانحراف».

** ـ الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وتأكيده على الأصول العامة للدخول في نطاق الأمة وكذلك تركيزه على روح الأخوة والوحدة.

والثانية هي «الطائفية» وهي تتنافى مع أصول الإسلام وقواعده.

أمثلة من مظاهر التعامل المذهبي الإيجابي

ورغم احتدام الخلاف الفكري بين العلماء من أتباع المذاهب فإننا نلاحظ في كثير من الأحيان علاقات صفاء ومحبة وتمازج إلى حد كبير بحيث يدرس بعضهم على بعض، ويدرّس البعض فقه المذاهب الأخرى، وينقل مناهجهم إلى مذهبه ويطلب بعضهم الإجازة من البعض الآخر. وهناك مجموعة رائعة من كتب الفقه المقارن، ونقل رائع لآراء الآخرين.

ومما روي عن الشيخ الصدوق أنه كان يجوب البلدان ويجلس إلى العلماء مهما كان مذهبهم، ومنهم الحاكم أبو محمد بكر بن علي الحنفي الشاشي وأبو محمد محمد بن ابي عبدالله الشافعي الفرغاني.

وكان التعامل يتم عبر مجالات عديدة كالتعليم والدراسة والحوار والاستفادة المتبادلة من المصادر والبحوث ونقد الآراء والتزاور والجلسات التي تتم في المناسبات.

ففي مجال التعلّم نجد كتب الفريقين متبادلة في الجامعات العلمية والحوزات تستفيد منها دون أن تسأل عن مذهب الكاتب. ويشمل هذا مختلف العلوم كالنحو والفقه وأصول الفقه والحديث

بطرقه المختلفة:

(السماح والقراءة أو العرض، والإجازة والمناولة والمكاتبة والوصية والوجادة).

ولقد كان شيخ الشيعة ببغداد (الشيخ المفيد) يحاور العلماء من شتى المذاهب الإسلامية ويجالسهم وكان يحرص على التعليم – حيث يقول الذهبي: وإن كان ليدور على المكاتب وحوانيت الحاكمة فيلمح الصبي الفطن فيذهب إلى أبيه وأمه حتى يستأجره ثم يعلمه، وبذلك كثر تلامذته (تاريخ الإسلام، الذهبي ٢٢٨/٩).

ولقد جاء كتاب الخلاف لشيخ الطائفة الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ) أروع مثال على ذلك وقد نقل بكل أمانة آراء المذاهب الأخرى وبالتفصيل ومنها آراء المذهب الشافعي إلى الحد الذي ظن السبكي معه أنه من علماء المذهب الشافعي وذكره في طبقاتهم رغم اعترافه بأنه فقيه الشيعة ومصنفهم ولكنه يقول عنه «كان ينتمي إلى مذهب الشافعي». (طبقات الشافعية، السبكي ٥١/٣).

وكان الشيخ يعتمد على ما روي في مصنفات أهل السنة إذا لم يجد ما يعتمد عليه في مصنفات الشيعة تبعًا لرواية عن الصادق(ع) تقول: «إذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حكمها في ما روي عنا فانظروا إلى ما رووه عن علي(ع) فاعملوا به».(عدة الأصول ١٣٩/١)

وهذه ظاهرة رائعة نلمحها في بعض العلماء فتعبر لنا عن امتزاج

عجيب بين المذاهب، وقد عبروا عن ابن الفوطي (توفي ٧٢٣) (صاحب «معجم الألقاب» وكان قيمًا على أعظم مكتبة في عصره) بأنه كان شيعياً حنبلياً. كما ذكر الشيخ وهبة الزحيلي بان الطوفي المعروف بدفاعه الشديد عن أصل «المصالح المرسلة» هو من غلاة الشيعة متبعًا في ذلك ابن رجب الذي عده من علمائهم، في حين أن الطوفي كان من علماء الحنابلة في القرن الثامن. ودفاعه عن هذا «الأصل» الذي يرفضه الشيعة، وعدم ذكره في فهارس علماء الشيعة يؤيّدان كونه حنبليًا.

وهذا محمد ابن أبي بكر السكاكيني العالم الشيعي المعروف كان كل مشايخه من أهل السنة. وقد خرّج له ابن الفخر علاء الدين ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٠١) ما رواه عن شيوخه وناظره وشهد له بالتفوق وقال عنه : «هو من يتشيع به السني ويتسنن به الرافضي» وقد نسخ صحيح البخاري بيده، وهو صاحب القصيدة المعروفة ومطلعها:

أيا معشر الإسلام ذمي دينكم تحير دلّوه بأوضح حجة

وهو صاحب «الطرائف في معرفة الطوائف» الذي مزقه السبكي وأحرقه.

ولو رجعنا إلى كتب طبقات الحنابلة لرأينا التقارب العجيب فهذا المحبي (كبير السنة في دمشق) يمدح البهاء العاملي عالم الشيعة المعروف فيقول عنه (كما في خلاصة الأثر): «وهو أحق من كل حقيق بذكر أخباره ونشر مزاياه، وإتحاف العالم

بفضائله وبدائعه، وكان أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم والتضلع بدقائق الفنون، وما أظن الزمان سمح بمثله ولا جاد بنّده وبالجملة فلم تُشنف الأسماع بأعجب من أخباره».

وقد ذكر الخطيب البغدادي أن سيرة سلف السنة هو الأخذ بروايات الثقات من الشيعة. (الكفاية في علم الرواية/ ١٢٥).

ومن العروف أن الشيخ الطوسي كان له مشايخ من أهل السنة ومنهم: أبو الحسن بن سوار المغربي،

ومحمد بن سنان، والقاضي أبو القاسم التنوخي وعده صاحب «الرياض» من الشيعة.

وعندما ندرس أوضاع حوزة الحلة التي ازدهرت بعد القضاء على حوزة بغداد من قبل السلاجقة نجد مجالاً رحبًا للتسامح.

فهذا الشيخ ابن إدريس يدرس على مجموعة من علماء أهل السنة، وهذا المحقق الحلي يؤلف كتاب «المعتبر» ويذكر فيه آراء المذاهب بل ويستخدم نفس أسلوبهم في الاستدلال، ثم نجد تلميذه العلامة الحلي المؤلف الكبير يستجيز الكثير من علمائهم ويعتبر عصره من أروع عصور التعامل الإيجابي، وهو يقول في مقدمة كتابه «منتهى المطلب» أنه يذكر مذاهب المخالفين مع حججهم على وجه التحقيق. وله أساتذة من علماء أهل السنة ذكروا في مقدمة كتابه «إرشاد الأذهان».

هذا ويعتبر الشهيد الأول من خريجي هذه المدرسة.

ويعتبر الشهيد الأول وهو محمد بن جمال الدين مكي العاملي

الجزيني، من علماء القرن الثامن، والشهيد الثاني وهو زين الدين بن علي العاملي الجبعي من علماء القرن العاشر، يعتبران مثلين رائعين من أمثلة الانفتاح والتمازج الفكري بين العلماء رغم أنهما كانا نموذجين بارزين من أمثلة ما يؤدي إليه التطرف المذهبي من نتائج فجيعة.

فهذا الشهيد الأول يعيش مع علماء عصره، وكان مجلسه لا«يخلو غالبًا من علماء الجمهور لخلطته بهم وصحبته لهم» (أعيان الشيعة ٦٢/١٠)، وقد قال في بعض إجازاته: «أنه يروي عن نحو أربعين شيخًا منهم» (أمل الآمل ١٠٣/١) وهي إجازته لابن الخازن حيث جاء فيها: «فإني أروي عن نحو أربعين شيخًا من علمائهم بمكة والمدينة ودار السلام بغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس، ومقام الخليل إبراهيم عليه السلام فرويت صحيح البخاري عن جماعة كثيرة بسندهم إلى البخاري، وكذا صحيح مسلم ومسند أبي داوود وجامع الترمذي... إلى غير ذلك مما لو ذكرته لطال الخطب، وقرأت الشاطبية على جماعة منهم قاضي قضاة مصر.. بن جماعة». (بحار الأنوار ١٩١/١٠٧) والجميل أن نجد شمس الأئمة الكرماني الشافعي – وهو أحد شيوخه يصفه بـ «المولى الأعظم الأعلم إمام الأئمة صاحب الفضلين مجمع المناقب..» (م.ن/١٨٣).

وكان (رض) كما يقول المرحوم صاحب الرياض: «يشتغل بتدريس كتب المخالفين ويقرئهم». (١٨٥/٥)

وكان يرى أنه لو كانت هناك صلاتان للجماعة إحداهما للشيعة والأخرى للسنة فإن حضور الثانية أفضل لأنه روي عنهم(ع)(الوسائل ٥/ ٣٨١) «من صلى معهم في الصف الأول كان كمن صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله فيه».

وهذا الشهيد الثاني كان يذكر الصحابة بكل احترام فهو يقول: «ورجعت إلى وطني الأول بعد قضاء الواجب من الحج والعمرة والتمتع بزيارة النبي وآله وأصحابه صلوات الله عليهم...» (أعيان الشيعة ٧/ ١٥٠).

وقد اجتمع إلى جملة من علماء السنة؛ ففي سفره إلى مصر اجتمع مع «الشيخ الفاضل شمس الدين بن طولون الدمشقي وقرأ عليه جملة من الصحيحين في الصالحية بالمدرسة السليمية وأجيز منه بروايتهما... ثم سافر إلى بيت المقدس في ذي الحجة (٩٤٨هـ) واجتمع بالشيخ شمس الدين بن أبي اللطيف المقدسي وقرأ عليه بعض صحيح البخاري وبعض صحيح مسلم وأجازه إجازة عامة ثم رجع إلى وطنه واشتغل بمطالعة العلوم ومذاكرته مستفرغًا وسعه وفي سنة ٩٥٢هـ سافر إلى الروم ودخل القسطنطينية في ١٧ ربيع الأول ولم يجتمع مع أحد من الأعيان إلى ثمانية عشر يومًا وكتب في خلالها رسالة في عشرة مباحث من عشرة علوم وأوصلها إلى قاضي العسكر محمد بن محمد بن قاضي زاده الرومي فوقعت منه موقعًا حسنا وكان رجلاً فاضلاً واتفق بينهما مباحثات في مسائل كثيرة... واجتمع فيها بالسيد عبدالرحيم العباسي صاحب معاهد التنصيص وأخذ منه شطرًا ... وأقام ببعلبك يدرس في

المذاهب الخمسة واشتهر أمره وصار مرجع الأنام ومفتي كل فرقة بما يوافق مذهبها...» (الكنى والألقاب ٣٨٢/٢) ورحل إلى مصر وقرأ بها على ستة عشر رجلاً من أكابر علمائهم وقد ذكرهم مفصلاً، ويبدو أنه استجازهم وروى كتبهم ويقول صاحب رياض العلماء: «ويظهر منه ومن إجازة الشيخ حسن وإجازات والده أنه قرأ على جماعة كثيرين جداً من علماء العامة، وقرأ عندهم كثيرًا من كتبهم في الفقه والحديث والأصول وغير ذلك، وروى جميع كتبهم وكذلك فعل الشهيد الأول والعلامة».

وذكر هو بعض هؤلاء: من قبيل الشيخ زين الدين الجرمي المالكي، والشيخ ناصر الدين اللقاني، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي الشافعي، والشيخ شمس الدين محمد بن ابي النحاس.

وقال ابن العودي تلميذه: كثيراً ما كان ينعت هذا الشيخ (يعني ابن ابي النحاس) بالصلاح وحسن الأخلاق والتواضع. (أعيان الشيعة ١٤٩/٧)

والحديث مفصل في هذا المجال.

وكأن هذا المسلك لم يرق لبعض العلماء وخصوصا للاخباريين منهم فأبدوا عدم رضاهم به وقد اتهمه البعض بالميل إلى التسنن.

وربما جاء الاتهام لأنه (رحمه الله) قام بعمل فريد إذ اعتمد منهج أهل السنة في علم الدراية وطبقه في المجال الشيعي؛ يقول صاحب الرياض: «ثم اعلم أن الشيخ زين الدين هذا هو أول من نقل علم الدراية من كتب العامة وطريقتهم إلى كتب الخاصة، وألف فيه الرسالة المشهورة ثم شرحها كما صرح به جماعة ممن تأخر

عنه، ويلوح من كتب الأصحاب أيضًا، ثم ألف بعده تلميذه الشيخ حسين بن عبدالصمد الحارثي وبعده ولده الشيخ البهائي وهكذا...(رياض العلماء ٢/٣٦٥)

وهنا يقول العلامة الأمين: «والعلامة والشهيدان أجل قدرًا من أن يقلدوا أحدًا في مثل هذه المسائل أو تقودهم قراءة كتب غيرهم إلى اتباع ما فيها بدون برهان وهم رؤساء المذهب ومؤسسوا قواعده وبهم اقتدى فيه أهله ومنهم أخذوه، وإنما أخذوا اصطلاحات العامة ووضعوها لأحاديثهم غيرة على المذهب لما لم يروا مانعًا من ذلك، وكذلك فعلوا في أصول الفقه وفي الإجماع وغيره كما بيّن في محله وكذلك في فن الدراية وغيره «وكيف يكون عدم رضا الشيخ حسن بما فعلوا لهذه العلة وهو قد تبعهم وزاد عليهم».(أعيان الشيعة ٧/١٥٧)

وهكذا نجد التعامل الإيجابي البناء بين القادة:

- احترام يصل إلى حد التكريم الرفيع.
- وعبارات المودة والمحبة سائدة رغم النقد العلمي أحيانًا،
- وانبهار واحترام يفوق الوصف،
- وعلماء الفريقين يشرح بعضهم كتاب الآخر
- وإرجاع من إمام إلى إمام،
- وتدريس البعض وإفتاؤه الناس بالمذهب الآخر،
- واعتراف بالفضل والعلم بأروع التعابير،
- وإلحاح على التعلم رغم الوضع السياسي الحرج،
- واستجازة البعض من البعض الآخر ورواية كتبه،

- وأخيرًا عدم الإصرار على الرأي، ورد للمنقول عنهم إذا لم يوافق الكتاب والسنة.

- وامتزاج إلى حد عدم تبين المذهب لدى البعض،

- وحرية في الاجتهاد وقبول بالتعددية وانفتاح على الآخر،

- ونقل المنهج العلمي لدى الآخر إلى علوم المذهب،

فهل يا ترى تقتضي العقلانية غير ذلك؟ وهل احتفظ أتباع الأئمة بمثل هذه الروح بعد ذلك؟!

وصايا إلى الأتباع

وازاء هذا التعامل الجميل بين الأئمة نلاحظ الوصايا التي تترى منهم لاتباعهم، كي يتعاملوا بنفس الروح التسامحية، ويتجاوزوا الخلافات الفرعية في العقيدة والتقييم التاريخي والفقه إلى الموقف المبدئي والتحاب ووحدة الموقف، والتعالي إلى المستويات المصلحية العليا. فلنلاحظ بعض النصوص كما يلي:

١ -ذكر التاريخ أن عبدالله بن أحمد بن حنبل روى أن قومًا من الكرخيين ذكروا خلافة الخلفاء الراشدين (وربما تنازعوا فيما بينهم) فقال: الإمام أحمد ناهيًا إياهم عن هذه النزاعات الجانبية العقيمة:

«يا هؤلاء أكثرتم القول في علي والخلافة، والخلافة وعلي؛ إن الخلافة لم تزين عليًا، بل علي زينها»(تاريخ بغداد ١٠٩/١)

٢ - وقد طرد الشيخ الحسين بن روح (أحد النواب الاربعة للإمام الثاني عشر المهدي(ع)) خادماً له لأنه سمعه يهين معاوية

(بحار الأنوار ٣٥٧/٥١).

٣ - وأوصى الإمام الصادق أصحابه فقال لهم: «صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس وقيل هذا جعفري، يسرني ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر»(عوالم الإمام الصادق، للبحراني، ٦٣٥/٢).

٤ - روى ابن أبي يعفور قال: سمعت الصادق يقول: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع». (الكافي ١٠٥/٢)

٥ - تذكر لنا الروايات أنه جرى ذكر قوم عند الإمام الصادق فقال بعض شيعته: «إنا لنبرأ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول، فقال الإمام: «يتولونا ولا يقولون ما تقولون، تبرأون منهم»؟ فأجاب الراوي: نعم، قال: «هو ذا عندنا ما ليس عندكم، فينبغي لنا أن نبرأ منكم»(وسائل الشيعة ١٦٠/١٦).

٦ - وعن الصادق: «من خلع جماعة المسلمين قدر شبر خلع ربقة الايمان من عنقه»(بحار الأنوار ٦٣/٨٥).

٧ - وعن الباقر(ع) في قوله تعالى: (أو يلبسكم شيعًا)، قال: «وهو اختلاف في الدين وطعن بعضكم على بعض»(الميزان ١٤٩/٧).

٨ - وقال الصادق: «عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنه لابد لكم

من الناس، إن أحدًا لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لابد لبعضهم من بعض»(الوسائل ٦/١٢).

٩ - معاوية بن وهب قال: قلت له (اي الصادق) كيف ينبغي ان نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وبين خلطائنا من الناس، ومن ليسوا على أمرنا؟ فقال: «تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون، فواللّه إنهم ليعودون مرضاهم ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدون الامانة إليهم» (م.ن ٦/١٢).

١٠ - وقال الصادق(ع): «رحم اللّه عبدًا اجترّ مودة الناس إلى نفسه فحدثهم بما يعرفون، وترك ما ينكرون» (م.ن ٤٧١/١١).

١١ - وقال زين العابدين(ع): «العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرًا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن العصبية ان يعين قومه على الظلم» (الكافي ٣٠٨/٢).

وهكذا نجد الأئمة يؤكدون على العلاقات الحسنة، والتعامل الإيجابي، وعدم الغرق في نزاعات غير عملية، وعدم الإساءة والإهانة، والدخول في قلب العمل الاجتماعي، وعدم الاعتزال نتيجة الإيمان برأي يخالف الأكثرية من الناس، والسعي للتأدب بأدب الأئمة، وعدم الغرور العلمي، وعدم جعل الاختلاف في الرأي سبيلاً للتدابر، والدخول في جماعة المسلمين، واجتناب العصبية واجترار حب الناس وأمثال ذلك..

التنوع المذهبي والشباب

محمد علي نظام زاده*

• الذوبان فقدان للشخصية وهزيمة نفسية • الشاب بطبيعته يميل إلى التآلف • منهج الإسلام في الانفتاح يسرّ الشباب • «التعارف» في القرآن له أثر كبير في نفس الشباب المتعطش • للاستماع قيمة حضارية كبرى • الأسلوب القرآني في الدعوة يزيل حالة الاصطدام.

المذهبية تنوع يقوم على أساس طبيعة الفطرة الإنسانية وعلى أساس الاعتراف بشخصية الإنسان المستقلة في تفكيره وذوقه واجتهاده، بينما الطائفية ترفض هذا التنوع وتريد أن تصبّ كل شيء في قالب واحد، وتحنّط كل الأفكار في اتجاه واحد، وهذا ما يتنافى مع طبيعة خلقة البشر وفطرتهم واستقلال شخصيتهم بل مع كرامتهم ومنزلتهم الإنسانية.

وأنا باعتباري أحمل مهمّة الإشراف من قبل السيد القائد حفظه الله تعالى على الطلبة الإيرانيين في جزء من هذا العالم، أتحسّس عن كثب طبيعة هؤلاء الشباب القريبين من الفطرة أولاً،

* ـ مندوب السيد القائد لشؤون الطلبة الإيرانيين في آسيا واستراليا.

والمنفتحين بحكم هجرتهم على عالم أوسع، يختلطون فيه مع أصحاب المذاهب بل مع أصحاب الأديان الأخرى.

بين الذوبان والانفتاح

هؤلاء الشباب يقفون غالبًا على مفترق طريقين: أما الذوبان في الآخر، وأما الانغلاق.

الذوبان ينشأ غالبًا من ميل فطري إلى الانسجام مع الآخر، ولكنه انسجام غير مطلوب، لأن الذوبان فقدان لشخصية الذائب وهزيمة نفسية أو فكرية تجاه الآخر.

وحين أتحدّث مع مثل هؤلاء الشباب أراهم يواجهونني بإعلان استيائهم من الفئة التي تدعوهم إلى الانزواء ورفض الآخر والابتعاد عن كل من لا يفكّر مثل تفكيرك. وهي حالة لا يستسيغها الشباب عادةً، لأن الشاب بطبيعته يودّ أن يألف الآخر ويودّ أن يألفه الآخر.

ولكني وجدت أنني حين أحدثهم عن منهج الإسلام في الانفتاح على الآخر، دون الذوبان به يرحّبون ويفرحون بهذا المشروع ويرون فيه الطريق الصحيح للمحافظة على شخصيتهم وهويتهم مع الارتباط بالآخر ارتباطًا يقوم على أساس الأخوّة الإنسانية أو الأخوّة الدينيّة وعلى أساس من التعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

المفهوم الواسع للتعارف

الآية في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن

ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ حين تفهم بمعناها الصحيح تفتح أمام من أخاطبهم في تلك الديار أفقًا واسعًا في التعامل مع الآخر.

الآية الكريمة تذكر التنوع الجنسي في البشر وتذكر التنوع البشري في تقرير قرآني واضح. ثم تذكر أن هذا التنوع هدفه «التعارف» والتعارف من باب التفاعل يعني تبادل المعرفة. لا يمكن الانسجام بين الرجل والمرأة ولا يمكن الانسجام بين المجموعات البشرية إلاّ أن تقوم العلاقة على أساس التبادل المعرفي أي أن يعرف أحدهما الآخر ، ويفهم ما بينهما من اختلاف طبيعي، ويستثمر هذا الاختلاف على طريق النموّ والتكامل.

المفهوم الواسع لعطش الإنسان

من أجل معالجة نفسية لعطش الشباب إلى الارتباط بالآخر بعشوائية ودون أن يكون لهم برنامج واضح وهدف واضح في هذا الارتباط أرى أن القرآن الكريم يعبّر عن هذا اللون من الحركة العشوائية بالاتجاه نحو السراب، وهذا لا يروي الظمأ ولا يلبّي حاجة الإنسان إلى الكمال كما يتصوّر هذا المتعطش . يقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وهذا الخطاب القرآني وجدته من خلال تجربتي ذا أثر نفسي كبير في الشباب المتعطش إذ إنه يقرّ بوجود هذا العطش لكنه ينهى عن ارتباط عشوائي بل قد يكون ذوبانيًا في الآخر.

هذا الميل الفطري للارتباط يعبّر عن ظمأ فطري، لكنه يجب أن يكون وفق منهج ربّاني، وإلاّ فسيكون اتجاهًا نحو سراب.

المفهوم الواسع للاستماع

حين يعيش الإنسان مع الآخر ويريد الانفتاح عليه، لابدّ أولاً أن يهيئ نفسه لأن يستمع من الآخر، لا أن يكتفي بالحديث إليه.

والاستماع يحتاج أولاً إلى اجتناب طاغوت النفس، أو طاغوت الذاتية والأنانية، فهذا الطاغوت يحجب السمع ويجعل الإنسان يتحدث ويتحدث.. لا أن يتحدث ويستمع.

ومثل هذا الإنسان لا تشمله البشرى التي قال عنها سبحانه:

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾.

وما هي البشرى؟

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

والاستماع قيمة حضارية كبرى تنقل الإنسان إلى قبول التنوع الفكري وتبعده عن ضيق النظر وعن الذاتية والأنانية في الفكر وعن كل ما يؤدي إلى الحالة الطائفية، غير أنه لابدّ أن يتزوّد بمعرفة الأحسن (أي الأنفع والأجمل) من الأقوال.

أسلوب الدعوة

يحدث كثيرًا أن يصطدم الشباب المختلفين مذهبيًا أو دينيًا، مع بعضهم مما يؤدي إلى أن ييأسوا من إمكان الانفتاح على الآخر، وينطووا على أنفسهم، وتتكرس الطائفية في أذهانهم.

ولكن التأكيد على الأسلوب القرآني في الدعوة يزيل حالة الاصطدام، ويحوّل علاقة المتحاورين إلى علاقة حميمة إنسانية. يقول سبحانه: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فالدعوة يجب أن تقوم على أساس الحكمة: وتعني فهم المخاطَب لكي يكون الخطاب متناسبًا مع ذوقه وتوجهاته ورغباته.

والموعظة الحسنة: والموعظة هي الخطاب المتوجّه من جانب واحد، وشرطه أن يكون حسنًا، والحسن هنا في أجلى معانيه هو الجمال. أي أن يكون الأسلوب جميلاً يدخل شغاف القلب، لا أن يستهدف الإلجام والاسكات.

والجدال بالتي هي أحسن: والجدال هنا بمعنى الحوار، أي الدخول مع الآخر في حديث متبادل، وهنا يزداد مجال الإثارة والاستثارة، ولذلك يجب أن يكون في أرقى درجات الجمال والتأثير القلبي والشعوري ﴿بالتي هي أحسن﴾.

وأكثر من ذلك يوسّع القرآن أفق العلاقات الإنسانية لتبلغ ذروتها الحضارية حين يطلب من الإنسان أن يواجه الإساءة بالإحسان، أي أن يبتعد عن الانفعال الذي يؤدي إلى انفصام العلاقات الإنسانية ويؤدي إلى الشرذم والبغضاء والتشاحن والطائفية يقول سبحانه:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

كما يأمر سبحانه نبيّه أن يعامل الآخرين بالرحمة والعفو

والاستغفار لهم ومشارتهم في الأمر، يقول سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

ومن المؤكد أن الآية تطلب من النبي أن يتعامل بهذه الصورة حتى مع من يؤلم قلب النبي، ورحمة الله هي التي تجعل هذا القلب لينًا أمام هؤلاء وتبعد الرسول عن الفظاظة وغلظة القلب.

ولابدّ أن تشمل أيضًا من أساء إلى الرسول الكريم لأنها تدعو النبي أن يستغفر لهم، وأكثر من ذلك تدعوه إلى أن يحافظ على كرامة هؤلاء ومنزلتهم حين تطلب منه أن يشاورهم في الأمر.

حين أتحدث مع الشباب بهذا الأسلوب يفهمون أن سبب التنافر لا يعود إلى خلاف عقلي، بل إلى انسداد شعوري يجب التعامل معه وفق الأسلوب القرآني الذي استطاع أن يؤلف بين قلوب المتعادين: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

هذه وقفات قرآنية أردت من خلالها أن أبين ما ينبغي أن نؤكد عليه في خطابنا الثقافي للأمة عامة ولجيل الشباب خاصة حتى ينتقلوا من عبادة الذات إلى عبادة الواحد الأحد سبحانه. وهي نقلة من الحالة الطائفية بكل ما فيها من ضيق نظر إلى الحالة المذهبية بما فيها من سعة نظر ورحابة صدر وإخلاص للمثل الحقّ سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

منهج السيد الحكيم في التقريب (٢/١)*

• التقريب يقتضي الأخذ بمتبنيات كل مذهب من لسان أصحابه • هناك اتفاق بالنسبة إلى الرجوع إلى القرآن والسنّة • دور الثقلين في توحيد المسلمين يقرره كبار السنّة والشيعة • لا بدّ من رعاية الاحترام في الحوار بين المذاهب • الحالة الطائفية وليدة حالة ركود ثقافي وحضاري • الحالة النفسية البائسة تنبش عن الاختلافات .

آية الله السيد محمد باقر الحكيم (١٣٥٨ – ١٤٢٤هـ/١٩٣٩ – ٢٠٠٣م) نجل المرجع الإسلامي العراقي الكبير الإمام السيد محسن الحكيم، تلقى دراسته في الحوزة العلمية، وبرز بين أقرانه في الدراسة والتدريس، وانفتح على مدرسة الإمام محمد باقر الصدر، وتعاون معه في مشروعه العلمي حتى سماه «عضدي المفدى» كما تعاون معه في مشروعه الاجتماعي والسياسي، وبعد

* - اعتمدنا في استخلاص هذه الأسس على مقابلة هامة أُجريت مع السيد الشهيد عام ١٤١٧هـ.

استشهاد الصدر برز باعتباره الرجل الأول الذي يواصل مشروع الشهيد الصدر في العراق فكريًا وسياسيًا.

وهذه خلاصة لمحاور منهجه التقريبي:

الف – المعالجة العلمية

الحالة الطائفية ذات جذور نفسية ترتبط بحالة التخلف وما يرافقها من حالة قَبَلية في عالمنا الإسلامي. وقد تتخذ الطائفية طابع مجادلات علمية، لكنها لا تنتمي في الواقع إلا إلى روح قَبلية، والدليل على ذلك أنها تتجه إلى تكريس الخلاف لا إلى تقصّي حقائقه العلمية، ولا أدلّ على ذلك أن الطائفيين لا يحملون أبدًا همًا رساليًا إسلاميًا، بل يعيشون فقط في دائرة همومهم المذهبية.

والمعالجة العلمية للطائفية هي نقل الخلاف إلى دائرة علمية موضوعية لمعالجة حقائقه وفق منطق مقبول لدى علماء الفريقين، يؤدّي في النتيجة إلى اتفاق بين الجانبين أو إلى اختلاف اجتهادي طبيعي بعيد عن التعصّب والنزاع.

وهذه العملية العلميّة (في رأي السيد الحكيم) تنتهج السبل التالية:

١ـ «الاهتمام بالبحث عن الحقائق لكل مذهب من المذاهب الإسلامية. فكل مذهب له متبنيات خاصة، سواء في الجانب العقائدي أو الفقهي أو في حقل تفسير التاريخ وفهم التاريخ».

وهذه الدعوة تعود إلى أن«حقائق كل مذهب قد اختلطت ـ مع الأسف ـ باتهامات ونسب باطلة».

من هنا فإن «التقريب بين المذاهب يفرض أولاً الأخذ بمتبنيات كل مذهب من لسان أصحابه. وهذا أساس هام من أسس التقريب لفرز الصحيح عن المفتعل والمفترى عليه في كل مذهب».

٢ـ في كل مذهب آراء فقهية وعقائدية شاذة، لايجوز أن يحمل المذهب أوزارها، بل المنهج العلمي يقتضي«التمييز بين الرأي السائد والرأي الشاذ داخل كل مذهب. فآراء رجال المذاهب بعضها يمثل الرأي السائد، وبعضها شاذ يختلف عن متبنيات المذاهب السائدة. والباحث الذي يسند رأيًا إلى مذهب معين لابدّ أن يأخذ بنظر الاعتبار الرأي السائد ولا يتشبث بالآراء الشاذة. نعم، يمكن أن ينقل هذه الآراء الشاذة وينسبها إلى أفرادها، لا إلى المذهب بشكل عام».

٣- المرجعية العلمية التي تحكم مسائل الخلاف بين السنة والشيعة تشكل السند القويم لحل هذا الخلاف. والسيد الحكيم يعتقد أن المسلمين متفقون نظريًا على هذه المرجعية لكنهم لا يلتزمون بها عمليًا في التحكيم بمسائل الخلاف . وهذه المرجعية تتمثل في: القرآن والسنة. يقول:

«المسلمون يتفقون جميعًا على هذا الكتاب الموجود الآن بين المسلمين، ويعتبرونه وحيًا نازلاً على الرسول الكريم بنصّه دون زيادة أو نقيصة.

ولا قيمة طبعًا لما يُنسب إلى الشيعة من القول بتحريف القرآن. فهي نسبة باطلة وغير صحيحة، وآراء علماء الشيعة منذ الصدر الأول وحتى عصرنا الراهن هي الاعتقاد بسلامة النص القرآني من أي تحريف. وهذا هو الرأي السائد.

إذن هناك اتفاق على الرجوع إلى القرآن الكريم، وهكذا بالنسبة للسنة النبويّة. كل المسلمين بكل مذاهبهم يعتقدون بأن ماجاء عن الرسول الكريم حجة لايمكن لأي شخص أن يجتهد أمامه. مذهب أهل البيت يركز على هذه المرجعية، مرجعية القرآن والسنّة. وقد بيّنا أهمية هذه المرجعية في بحثنا عن: التفسير عند أهل البيت».

ولا يفوت السيد الحكيم وهو يتحدث عن مرجعية القرآن والسنة أن يبين أسلوب الرجوع إلى القرآن والسنّة، حتى لاتكون هذه المرجعية عامل خلاف كما حدث في التاريخ. فيؤكد على ضرورة التتلمذ على القرآن والسنّة. أي أن يأتي المسلم إليها تلميذًا لا معلّمًا، مستفتيًا لا مفتيًا، خاليًا من المواقف المسبقة، لا أن يحاول تبرير مواقفه المسبقة بآية أو حديث. يقول:

«عندما يختلف المسلمون في رأي من الآراء، فليرجعوا إلى المتفق عليه بينهم وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، دون اتخاذ موقف تفسيري مسبق تجاه القرآن والسنّة يناصر رأي هذا المذهب أو ذاك».

ثم يذكر السيد الحكيم ملاحظة بصورة عابرة على غاية من

الأهميّة هي أن رسول الله (ص) وضع للناس المرجعيّة ووضع الضمان لعدم الاختلاف في العودة إلى هذه المرجعيّة وهو «أهل البيت». من هنا فإن السيد الحكيم يفهم «الثقلين» بأنهم السبيل الصحيح لفهم القرآن والسنّة، وأن ماحدث من خلاف بين المسلمين في فهم هذه المرجعيّة الرسالية إنّما هو بسبب عدم التزامهم بهذا الضمان الذي ركّز عليه النبي الأعظم في مناسبات متعددة ومنها حجة الوداع التي أوصى فيها بأهم أسس استمرار المسيرة الإسلامية على نهجها الصحيح.

يقول:«ولقد اهتمّ رسول الله(ص) بهذا الأمر (أي بأمر الأسلوب الصحيح في العودة إلى مرجعية القرآن والسنّة) حين وقف ينصح المسلمين في حجة الوداع بعدّة أمور كان من جملتها نصيحتهم بالعودة إلى الثقلين».

وهذا الفهم لدور الثقلين في توحيد المسلمين وإبعادهم عن الاختلاف نجده عند كبار العلماء من السنة والشيعة، وأشير على سبيل المثال إلى «محمد بن عبد الكريم الشهرستاني» في كتاب *مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار* فهو يرى أن كل ما أصاب المسلمين من تفرّق في الفروع والأصول إنّما يعود إلى ابتعادهم عن الرجوع إلى الثقلين.

ب – المعالجة الأخلاقية للخلاف

وأقصد بالمعالجة الأخلاقية الالتزام بأدب الاختلاف وأدب

الحوار بين المختلفين، وكتب المهتمون بتوحيد المسلمين في هذا المجال. وبينوا موقف النبي(ص) والصحابة والتابعين وأئمة أهل البيت من الرأي الآخر.

يقول السيد الحكيم في هذا المجال:

«لابد أن تسود الحالة العلمية في المواقف والحوار بين العلماء، نعم، الاختلاف طبيعي، والدفاع عن الرأي والاستدلال على صحته حقّ لكل عالم، وردّ الرأي الآخر باستدلال علميّ حق أيضًا. ولكن تارة يكون الردّ بروح الاتهام والتحامل، وتارة يكون بروح احترام رأي الطرف الآخر وأفكاره».

ويرى السيد الحكيم أن العالم الحقّ هو الذي يستهدف كشف الحقيقة، ويهمّه الوصول إلى النتيجة، أيًا كانت النتيجة، حتى ولو كانت مخالفة لفرضياته. وهذا هو السائد في حقل العلوم التجريبية والفكرية والثقافية. من هنا يدعو السيد الحكيم إلى أن ينتهج علماء المذاهب نفس المنهج المعرفي في دراسات العلوم الأخرى يقول:

«يجب أن يكون تبادل الأفكار والآراء والمناقشات بين علماء المذاهب تمامًا كما هو الحال بين علماء العلوم التجريبية والفكرية والثقافية، حيث يكون ردّ العالم على الآخر غالبًا بروح الاحترام للرأي الآخر، باعتبار أنه يردّ على جهة علمية بذلت جهودًا حتى توصلت إلى هذا الرأي.

بنفس هذا النَفَس من الاحترام المتبادل يجب أن يسير الحوار بين علماء المذاهب، إذا شاؤوا التقريب بينهم».

ج – المعالجة النفسية في دائرة التقريب

لا نبالغ إذا قلنا إن أسباب الخلاف بين المسلمين يعود في معظمة إلى عامل نفسي. فالحالة النفسية في عالمنا الإسلامي هي على العموم بائسة. الإنسان المسلم غالبًا يشعر بالضعف والدونيّة أمام جبروت الغرب، كما أنه يفتقد الأمل غالبًا في مستقبل أفضل، ولا يشعر بعزّة في هويته وشخصيته وانتمائه الديني والوطني والقومي. وهذه الحالة لها إفرازاتها في الحياة العملية. وأهم هذه الإفرازات فيما يرتبط بالتقريب هو أن يبحث كل فرد وكل جماعة عن سبيل لإثبات شخصيته بسبل موهومة، وهذا التمترس وراء الدفاع عن هذه الطائفة أو الهجوم على هذه الطائفة بالأساليب العنيفة المعروفة إنّما هو إفراز للحالة النفسية السائدة.

الحالة الطائفية إذن وليدة حالة ركود ثقافي وحضاري لايمكن إزالتها إلا باستئناف حركتنا الحضارية. ولكن بقدر ما يتعلق بالتقريب لابدّ من معالجتها للتخفيف من حدّتها والتقليل من تبعاتها. ويقترح السيد الحكيم في هذا المجال مايلي:

١ـ طرح الهموم الكبيرة، وهذه العملية من شأنها أن ترفع التطلعات والأهداف إلى مستوى رفيع بحيث تصغر الخلافات الجانبية. لأن الصغائر تكبر عادة في جوّ الهموم الصغيرة والأهداف الصغيرة. ولهذا نرى الطائفية تتضخم عادة في البيئات التي تعيش هموم متاع الحياة الدنيا، وتتضاءل تلقائيًا عند الرساليين. ولقد رأينا أثر الصحوة الإسلامية في التقريب المذهبي

كما رأينا آثار كتابي *اقتصادنا* و*فلسفتنا* في التقريب المذهبي رغم أنهما لم يعالجا خلافات مذهبية، بل طرحا أهدافاً رسالية كبرى تتعلق بالكون والحياة من وجهة نظر الإسلام، كما رأينا أثر انتصار الثورة الإسلامية في التقريب المذهبي خاصة خلال السنوات الأولى (قبل عمليات التحجيم)، لأنها طرحت المشروع الإسلامي للحياة على الساحة العملية.

يقول السيد الحكيم في هذا الصدد:

«لابدّ - من أجل التقريب بين المسلمين - من وضع القضايا الهامّة في رأس قائمة الاهتمامات والمناقشات. وسيكون ذلك عاملاً على التقريب بل على الوحدة، لأن القضايا مهما كبرت فإن الاتفاق بشأنها يكبر أيضًا، وكلما دخلنا في التفاصيل والجزئيات أكثر اتجهنا إلى الهامش أكثر».

٢- التأكيد على المشتركات، فالحالة النفسية البائسة تنبش في الاختلافات من أجل أن تخلق حالة تبريرية للتناطح والاصطدام. والتأكيد على المشتركات يخفّف من تضخّم الخلافات في النفوس. ومن هنا فإن التقريبيين مدعوون لأن يشدّوا الأنظار إلى المشتركات في العقيدة وفي الفقه وفي الآمال والتحديات. يقول السيد الحكيم في هذا الصدد: «صحيح أن هناك اختلافًا بين المذاهب الإسلامية في مختلف المجالات، ولكن الاشتراك بينها هو أكثر وأهم مما به الاختلاف. المهم التوجّه والاهتمام. تارة يكون

نحـو المشـتركات، وتـارة يكـون نحـو إبـراز الخلافـات وإثـارة النزاعات. نقاط الاتفاق بين مذاهب المسلمين مهمة جدًا، تعبّر عن وحـدة الأمـة الإسـلامية وعـن هويتهـا وشخصـيتها، فهـم يحجـون جميعًـا حجًـا واحـدًا، ويقفـون علـى صـعيد مشـاعر واحـدة، وهـذه نعمة كبيرة من نعم الله على الأمة الإسلامية. وهكذا الصلوات الخمسة قد اتفق عليها المسلمون، وصوم شهر رمضان، وغيرها مما لا يحصى من المسائل الرئيسية المتفق عليها بين المسلمين. ولابد من إبراز مواضع الاتفاق هذه باعتبارها أساسًا من أسس التقريب»..

وبشأن التأكيد على التحديات المشتركة يقول:

«فالاختلاف هنا يعني ضعف الأمة وتمزقها وهيمنة أعدائها عليها. لذلك أعتقد أن من أهم أسس التقريب توحيد موقف المسلمين تجاه القضايا الرئيسية والمركزية. والتوحيد في موقف المسلمين مطلوب في المجالات السياسية وفي المواقف الاجتماعية، كما حدث بالفعل ضمن إطار المؤتمرات التي عقدت أخيرًا لمعالجة المشاكل الاجتماعية مثل مؤتمر القاهرة ومؤتمر بكين ومؤتمر فينا، وكل هذه المؤتمرات عالجت مسائل حساسة هامة مثل مسائل الأسرة والمرأة. والمسلمون مطالبون باتخاذ موقف موحّد تجاه هذه القضايا. وهو عامل على تقريب المسلمين بكافة مذاهبهم وعلى وحدة الأمة».

د ـ عقد الأمل على مستقبل التقريب.

والأمل عنصر مهم من عناصر استمرار المسيرة. وحين يرى الإنسان وضع العالم الإسلامي ومافيه من أحداث طائفية تتكرر باستمرار على شكل مناوشات كلامية وتراشق بالتهم والتكفير، بل ويبلغ الأمر أن تسفك الدماء وتزهق الأرواح في المساجد والمجالس الدينية بدوافع طائفية. حين يرى هذه الأحداث ويرى معاول الهدم تفعل فعلها باستمرار وبجدّ واجتهاد لتركيز الحالة الطائفية، يكاد يساوره اليأس من إمكان نجاح دعوة التقريب ومواصلة مسيرتها. لكن دعاة التقريب ينظرون إلى الزوايا المضيئة التي تبعث الأمل في نفوس التقريبيين، وأعتقد أن السيد الحكيم فكر في هذا الأمر طويلاً، إذ ما إن سألناه عن إمكان نجاح جهود التقريب في العالم الإسلامي الذي تكاثرت فيه معاول التخريب الداخلية والخارجية، راح يعدّد الجوانب المضيئة من الطريق، ويتفاءل بمستقبل واعد للتقريب ومن النقاط التي أشار إليها:

١- «السنة التاريخية التي تحكم حركة التاريخ والمجتمع الإنساني، هذه السنة تقول: إن الحق يعلو لا محالة، وأن الباطل زاهق لا محالة. وقضية تقريب المذاهب ووحدة المسلمين هي قضية حقة، ولابد أن تنتصر في حركة السنن التاريخية والكونية التي تحكم حركة الإنسان وحركة المجتمع الإنساني. إنها مسألة غيبية نؤمن بها، وركز عليها القرآن في مواضع كثيرة منها قوله

سبحانه: ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا﴾، ومنها قوله سبحانه: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.

٢- «القضية الأخرى التي يجب أخذها بنظر الاعتبار هي وجود هذا الكيان المبارك القائم على الساحة الدولية اليوم المتمثل بالجمهورية الإسلامية، فقضية التقريب وقضية الوحدة الإسلامية أصبح لها أم وأب يرعيانها، ويهتمان بها ويتبنيانها. والدولة الإسلامية المباركة لها وجود كبير على الساحة الدولية، وتتبنّى أسسًا راسخة قوية في العقيدة التوحيدية، وتنطوي على معنويات عالية مدعومة بتضحيات غالية ودماء زكية. وهذه الدولة اليوم تشكل رصيدًا هامًا لوحدة المسلمين، لأنها تطالب بعزم وإصرار على استعادة عزة المسلمين وكرامتهم، وماضاع حق وراءه مطالب. وهي مسألة هامة جدًا يجب أن نأخذها بنظر الاعتبار في تقويم مستقبل حركة التقريب».

٣- «الأمر الثالث الذي يمكن أن يذكر في هذا الصدد هو أن الوعي الإسلامي العام الموجود لدى الأمة الإسلامية حقيقة لايمكن أن ينكرها أحد، هناك صحوة إسلامية، هناك وعي عام قائم لدى الأمة الإسلامية. هناك اهتمام لدى الأمة في العودة إلى الله، والعودة إلى الهوية والشخصية الإسلامية، والالتزام بما أمر الله سبحانه به. وهذا الوعي يوحّد بين فصائل المسلمين ويوجّه عواطفهم واهتمامهم نحو هدف واحد».

٤- «الأمر الرابع في هذا الموضوع هو التطور العلمي والتقني الذي يمكن أن يساهم مساهمة كبيرة جدًا في تحقيق هذا التقريب. حيث أنني قلت: إن أحد أسس التقريب هو التفتيش عن حقائق كل مذهب. ووجود هذا التطور الكبير في وسائل الارتباطات ونقل المعلومات يوفّر فرصة كبيرة للكشف عن هذه الحقائق ومعرفتها».

٥- «والأمر الخامس، هو التطور في الجانب الإنساني على الساحة العالمية. رغم أن السلوك العام شهد عالميًا تدهورًا وتدنيًا في الجانب الأخلاقي، إذ ازداد الظلم والعدوان والتجاوز وبلغ حدًا كبيرًا، وشكلاً مفزعًا استخدمت فيه الأسلحة الكيمياوية والنووية الفتاكة. رغم ذلك فهذا التدهور مقرون بتطور ونمو وتكامل في الرؤية للقضية الأخلاقية، بما يعبّر عنه بحقوق الإنسان والإحساس بضرورة الدفاع عن هذا الحق، وهذه الظاهرة سنة طبيعية تحتاج إلى حديث عن حركة التاريخ والمجتمع. فهناك دائمًا حالة توازن بين التدهور الأخلاقي والوعي الأخلاقي، تؤدي إلى انفجار تغييري نسميه الثورة والتغيير الجذري، ونحن اليوم نشاهد أيضا تدهورًا في الحالة السلوكية العالمية، وإلى جانبها تطورًا في الناحية النظرية، وفي الوعي على الحالة الأخلاقية، فيما يرتبط بحقوق الإنسان، والرأي المتبادل، وقضايا الحرية وقضايا التفاهم والتعارف، وغيرها من الأمور التي يمكن أن تكون عاملاً مساعدًا في خدمة التقريب وقضية وحدة الإنسانية. ولذلك نشاهد الآن كثيرًا من المشاريع الوحدوية المطروحة في العالم على

المستوى الإقليمي والعالمي، نتيجة وجود الوعي في هذا الاتجاه».

٦- «والنقطة السادسة والمهمة في تصوري هي حاجة الأمة الإسلامية اليوم إلى التقريب والوحدة. فالأمة تعيش صراعًا مصيريًا، والتقريب والوحدة من العناصر الهامة في كسب المعركة في هذا الصراع المصيري. والحاجة - كما يقولون - أم الاختراع. عند الاحساس بالحاجة الحقيقية للوحدة والتقريب ستتحرك الأمة لسدّ حاجتها. ولذلك فإن الفرص كبيرة لنجاح مشروع التقريب ونجاح أطروحة التقريب بين المذاهب ووحدة الامة. من هنا نجد أن الأصوات الداعية للتقريب هي الأقوى، والأصوات الداعية إلى الاختلاف والتمسك بالفرعيات والتشبث بالجزئيات أصبحت هي الأصوات الخافتة، وأضحت هذه الأصوات السلبية تتحدث بطريقة ملتوية بعيدة عن الواقع، تحاول أن تخفي حقيقة مواقفها. تحاول أن تتخذ موقف النفاق. وحالة النفاق تعبر عن بداية الانتصار. عندما يبدأ الحق بالانتصار والباطل بالانهزام، يعلن الباطل عن نفسه أولا بشكل واضح ويدخل في الصراع، وعندما يمنى بالهزيمة يحاول أن يدخل في حالة النفاق. وهذه الحالة مشهودة في بداية الدعوة الإسلامية، وفي تاريخنا المعاصر إبان الثورة الإسلامية، حيث كان العلمانيون والملاحدة والمنحرفون والمرتدون يواجهون الثورة علنيًا في البداية. وعندما هُزموا أخذوا يواجهونها بطريقة نفاقية. على أي حال، الإحساس بالحاجة الماسة بين المسلمين للتقريب هي بذاتها عامل على فتح الطريق لتحقيق هذا الهدف».

يتبع

السلفية الواعية
في فكر الشيخ محمد الغزالي*

• نؤثر دراسة العقائد من منهجها القرآني • إن أناسًا جعلوا من السلفية فرقة تسكن بقاعًا من جزيرة العرب • فقه أحمد بن حنبل أحد الخطوط الفكرية في الثقافة الإسلامية • الحديث النبوي ليس حركًا على طائفة بعينها من المسلمين • هؤلاء في الواقع لا خلف ولا سلف وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد • ما السلفية التي تقرّ هذا البلاد؟! ما هذه سلفية هذا فكر قطاع الطرق • لا بدّ لأمتنا أن تطوي مسافة التخلف الحضاري • الفقه الإسلامي كما قدمه سلفنا حضارة معجزة أما الفقه الإسلامي كما يقدمه البعض الآن فهو يميت ولا يحيى.

لقد مرّ التاريخُ الإسلامي بمعارك كلاميّة «كنّا والله في غنى عنها، اختلقها الترف العقلي ونمّاها، وشُغلت بها الجماهير عن خير الدنيا والآخرة، وبقيت في كتب العقائد ذكريات مؤسفة.

* ـ من كتاب دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين.

وها قد سلخ من عمره المديد أربعة عشر قرنًا وعانت أمته أيامًا عصيبة لانطلاقها بغير قواها وإلى غير وجهتها».

وليس القلق «من كثرة المذاهب الفكرية في شؤون الأدب والحياة.. وإنما نكره التفرّق في المعتقد، والتحزب في أصول الديانة، ونؤثر دراسة العقائد من منهجها القرآني ونبعها النقي كما تدفّق به الوحي الأعلى، ونهض عليه سلفنا الصالحون».

وهذه هي السلفية الواعية التي تجمع ولا تفرّق ، غير أن أقوامًا نظروا إلى السلفية من منظارهم الضيّق، فجعلوا منها بداوة وتخلفًا وجمودًا. يقول الغزالي:

«والسلفية ليست فرقة تسكن بقاعًا من جزيرة العرب وتحيا على نحو اجتماعي معيّن.

إننا نرفض هذا الفهم ونأبى الانتماء إليه.

إن السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمق ولاءها لكتاب الله وسنَّة رسوله، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لإعلاء كلمة الله دون نظر إلى عرق أو لون.

وفهمها للإسلام وعملها له يرتفعان إلى مستوى عمومه وخلوده وتجاوبه مع الفطرة وقيامه على العقل.

وقد رأيت أناسًا يفهمون السلفية على أنها فقه أحمد بن حنبل رضى الله عنه، وهذا خطأ.. ففقه أحمد أحد الخطوط الفكرية في الثقافة الإسلامية التي تسع أئمة الأمصار وغيرهم مهما كثروا.

ورأيت ناسًا يفهمون السلفية على أنها مدرسة النص، وهذا

خطأ فإن مدرسة الرأي كمدرسة الأثر في أخذها من الإسلام واعتمادها عليه.

وقد كان من هؤلاء من تسمّوا أخيرًا بأهل الحديث، وسيطرت عليهم أفكار قاصرة في فهم الأخبار المروية، وأحدثوا في الحرم فتنة منكورة.

والحديث النبوي ليس حكرًا على طائفة بعينها من المسلمين، بل إنه مصدر رئيسي للفقه المذهبي كله.

ورأيت ناسًا تغلب عليهم البداوة، يكرهون المكتشفات العلمية الحديثة ولا يحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الإسلامية وحماية تعاليمها، ويرفضون الحديث في التليفزيون مثلاً لأن ظهور الصورة على الشاشة حرام، ويتناولون المقررات الفلكية والجغرافية وغيرها بالهزء والإنكار، وهؤلاء في الحقيقة لا سلف ولا خلف، وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد.

ورأيت ناسًا يتبعون الأعنت الأعنت، والأغلظ الأغلظ، من كل رأي قيل، فما يفتون الناس إلا بما يشق عليهم وينغّص معايشهم، ويؤخر مسيرة المؤمنين في الدنيا، ويأوي بهم إلى كهوفها المظلمة. وهؤلاء أيضا لا سلف ولا خلف. إنهم أناس في انتسابهم إلى علوم الدين نظر، وأغلبهم معتل الضمير والتفكير.

ورأيت ناسًا يتبعون إلغاء الرقيق بعيون كئيبة! قلت لهم: ألا تعرفون أن هؤلاء العبيد هم أحرار أولاد أحرار اختطفتهم عصابات النخاسة من أقطارهم، وباعتهم كفرانًا وعدوانًا ليكونوا لكم خدمًا، وهم في الحقيقة سادة؟!

ما السلفية التي تقر هذا البلاء؟ وما هؤلاء العلماء الذين ضاقوا بسياسة الملك فيصل في تحريرهم ، وإلغاء بيعهم وشرائهم؟ إن الرجل الشهيد أولى بالله منهم.

ورأيت ناسًا يقولون: إن آية: ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة/١٩٠) مرحلية.

فإذا أمكنتنا اليد! لم نبق على أحد من الكافرين.

قلت: ما هذه سلفية. هذا فكر قطاع طرق لا أصحاب دعوة شريفة حصيفة، وأولئك لا يؤمَنون على تدريس الإسلام لجماعة من التلامذة بله أن يقدَّموا في المحافل الدولية والمجامع الدولية.

إن العالم الإسلامي الآن متخلّف حضاريًا، ومضطرب أخلاقيًا واجتماعيًا وسياسيًا، وبينه وبين الأمم القائدة الصاعدة أمد بعيد.

هذه الأمم تعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا، وتفتقر إلى جيل من البشر يذكّرها بالله ولقائه.

والإسلام وحده هو المالك لهذه الحقائق الهادية. ولكي تؤدي أمته رسالتها يجب عليها أمران:

الأول: أن تطوى مسافة التخلف الحضاري، والاضطراب الإنساني الذي يشينها ولا يزينها.

والثاني: أن تتقدم بشرف وكياسة لتقول للناس كلهم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء/ ١٧٤).

ولكي ننجح في عملنا يجب أن نقتفي آثار سلفنا.

والسلفية هنا عنوان كبير لحقيقة كبيرة أساسها العقل الحر المكتشف الدؤوب.

إن هذا العقل عندما رغب عن البحث في الذات العليا وحقيقة الصفات، كان يحترم نفسه عندما توقف. والعلم المعاصر نجح أيما نجاح عندما بحث في المادة التي بين يديه ولم يبحث في ربها ـ سبحانه ـ فأنى له البحث فيما لا يملك ولا يقدر؟!

من أجل ذلك نرفض النظريات الكلامية، ونقبل المذاهب الفقهية، ونضع الشبكة القانونية التي يتطلبها انتقال الحياة من طور إلى طور.

من أجل ذلك نهشّ للتقدم العلمي ونطوّعه لنصرة مبادئنا ومُثُلنا.

ومن أجل ذلك نرى ضرورة إزاحة البله وذوي العقد النفسية من قيادة الفكر الديني، فإنهم غشاوات على البصائر، وحجب على الضمائر.

إننا محتاجون إلى فقهاء يستطيعون النظر في سياسة المال والحكم، ويرفضون أن يسبقهم الإلحاد إلى اجتذاب الشعوب الفقيرة في هذه الميادين الخطيرة. ومحتاجون إلى فقهاء يهيمنون على شؤون التربية والإعلام برحابة الإسلام وبشاشته لا بالتزمت والتكلف.

إن الفقه الإسلامي كما قدمه سلفنا حضارة معجزة، أما الفقه الإسلامي كما يقدمه البعض الآن فهو يميت ولا يحيى».

من الخطاب التقريبي لشيخ الأزهر

عبد المجيد سليم

• لقد قام المسلمون الأولون بأمانة حمل الإسلام قيامًا حسنًا • المسلمون الآن غثاء كغثاء السيل • علينا أن نتساءل ما السبيل إلى استعادة عزة المسلمين؟ • لا بدّ أن ينسى المسلمون أحقادهم الموروثة من عصور الانحطاط • بالعلم نفهم أنّ الخلافات بين المذاهب ضخّمتها السياسة.

ولد عبد المجيد سليم (١٢٩٩ - ١٣٧٣هـ/١٨٨٢- ١٩٥٤م) في قرية بالمنوفية، حفظ القرآن وجوّده، ثم التحق بالأزهر، وكان متوقّد الذكاء مشغوفًا بفنون العلم، متطلعًا إلى استيعاب جميع المعارف، اختار أعلام الأساتذة والمشايخ ليتتلمذ عليهم، فحضر دروس محمد عبده وحسن الطويل وأحمد أبو خطوة وغيرهم من الأعلام، وتخرّج في الأزهر سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٨. تقلّد العديد من المناصب، فدرّس بالمعاهد الدينية ثم بمدرسة القضاء الشرعي، ثم ولي القضاء، وتدرّج في المناصب وعُين سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م مفتيًا للديار المصرية. وظل يباشر شؤون الافتاء قرابة عشرين عامًا، وترك خلال تلك الفترة ثروة ضخمة من فتاواه تبلغ ١٥ ألف فتوى.

تولى مشيخة الأزهر مرتين: الأولى سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م ثم

أعفي من منصبه في السنة التالية لاعتراضه على الحكومة عندما خفضت ميزانية الأزهر، ثم تولى المشيخة للمرة الثانية سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢ واستقال في السنة نفسها. وتوفي رحمه الله بعدها بسنتين.

وهذا نموذج من خطابه التقريبي في رسالة وجهها إلى مؤتمر بباكستان:

من عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر إلى إخوانه المؤمنين في المؤتمر الإسلامي العالمي بكراتشي:

أيها الإخوة الأعزاء:

سلام الله عليكم ورحمته: ونضَّر الله هذه الوجوه الكريمة التي اجتمعت للتشاور في أمر المسلمين، والنظر فيها يصلحهم ويجعل لهم في العالم مقاما محمودًا، كما كان أسلافهم من قبل، ويمكنهم من نشر تعاليم دينهم، وبيان شرعتهم ومنهاجهم ودعوة العالم إلى صراط الله العزيز الحميد، وإنقاذه مما يعاني من الأهوال والصعاب بسبب الجهالات والعصبيات والمطامع المهلكة.

حيا الله هذه الوجوه التي اجتمعت بجامعة الإيمان، وارتبطت برابطة الأخوة في الله، ولم تجمعها نزعات سياسية، ولا مطامع إقليمية، ولا رغبات استعمارية، وإنما جمعها التآلف وابتغاء الخير والسلم والإصلاح بين الناس، تحقيقًا لأمر الله عزوجل إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وإذ يقول ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ

بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

* * *

أني لأبعث إليكم بهذه الكلمة راجيًا لكم ـ باسم الجامعة الأزهرية العتيقة ذات التاريخ المجيد في خدمة العلم والدين ـ كل توفيق ونجاح، فإن غايتكم من أشرف الغايات، وإن في نجاح دعوتكم لنجاحًا لدعوة السلام والتفاهم، وبرهانًا ساطعًا على أن القلوب إذا تكاشفت تعارفت، وإذا تعارفت تآلفت.

أسأل الله أن يهيء لكم من أمركم رشدًا، وأن يهديكم سبيل الحق والصلاح، وأن يحقق فيكم آمال إخوانكم المؤمنين الذين تهوي إليكم أفئدتهم في مشارق الأرض ومغاربها، إنه سميع الدعاء لطيف لما يشاء.

* * *

لقد بعث الله رسوله محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وجعل رسالته عامة خالدة موجهة إلى الناس أجمعين في كل زمان ومكان، فليست خاصة بشعب دون شعب، ولا بعصر دون عصر، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

وقد ورث المسلمون هذه الدعوة عن رسولهم الكريم، لا ليحتفظوا بها لأنفسهم، ويضنوا بهديها ونورها على من سواهم، ولكن ليكونوا خلفاء عليها، وأمناء على بثها وإظهار نورها، وإصلاح شأن العالم بها، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنكَـرِ وَأُوْلَئِـكَ هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ﴾. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾. ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

فإذا أوفوا بعهد الله إليهم، فصانوا الأمانة، وبلغوا الدعوة؛ كانوا جـديرين بنصـر الله وتأييـده: ﴿ إِن تَنصُـرُوا اللَّـهَ يَنصُـرْكُمْ وَيُثَبِّـتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾.

وإذا ضيعوا الأمانة وآثروا الدنيا ومتاعها على الله ورسوله وجهاد في سبيله فليتربصوا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

* * *

ولقد قام المسلمون الأولون بأعباء هذه الأمانة قيامًا حسنًا، وشروا أنفسـهم وأمـوالهم لله في سـبيلها، ففـتح الله علـيهم مشـارق الأرض ومغاربها، وأراهم آيته الكبرى في نصرهم على قلتهم، ودخول الناس أفواجًا في ملتهم، وتساقط الدول الحضارات أمام دولتهم وحضارتهم، وما كان ذلك إلا لأنهم كانوا صادقين في إيمانهم، نازلين على أمر ربهم، فكانوا بذلك صالحين، وكانوا بصلاحهم ومظاهر عدلهم واسـتقامتهم ونجـاحهم دعـاة عملـيين لـدينهم، تسـبقهم شـهرتهم، وتتقـدمهم في الأمـم هيبـتهم، وتتفـتح القلـوب لـدعوتهم قبـل أن تتفـتح الحصون والبلاد أمام قوتهم وبسالتهم، وظلوا كذلك يحالفهم النصر أينما توجهوا، ترفرف عليهم العزة والسلطان والقوة، حتى غيروا ما

بأنفسهم فغير الله عليهم: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

فرطوا في أمانة الله فكان ذلك تفريطًا في أنفسهم ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وتنازلوا عن أسباب سيادتهم وعزتهم فاستحقوا الضياع والسقوط كما تقضي بذلك سنة الله في خلقه، حيث لا يحابي أحدًا، وإنما يورث الأرض عباده الصالحين ولا يمكّن منها إلا الذين يقيمون القسط فيها.

وقد وقفت منذ ذلك دعوة الخير والإيمان، وأصبحنا لا نسمع بمعتنق لهذا الدين إلا أن يكون فردًا أو عددًا قليلا، وكثيرًا ما يتبين أن لبعضهم مآرب يبتغيها ويلتمس باعتناق الإسلام تحقيقها، أما دخول أمة بأسرها في الإسلام، واعتناقها دعوة الحق، كما كان يحدث من قبل، فلم نعد نراه أو نسمع به، بل لقد شهد التاريخ أمة بأسرها من المسلمين ـ هم أهل الاندلس ـ يسامون الخسف وسوء العذاب ويفتنون عن دينهم، والمسلمون ينظرون إليهم فلا يستطيعون لهم نصرًا، ولا يملكون لهم نفعًا ولا ضرًا، وها نحن أولاء في عصرنا الحاضر نرى بأعيننا كيف تجمع الأموال وتحشد الجهود وتذلل الصعاب في سبيل تمكين المبشرين المسيحيين من زلزلة إيمان أهل الفطرة من المسلمين الذين وقعوا تحت نفوذهم، بل في سبيل زلزلة المثقفين من أبنائنا، وتشكيكهم في دينهم، وتهوين شأنه في قلوبهم، كيلا يكون لهم حصنًا يدرأ عنهم غوائل الاستعمار، ويصد جيوشه المتنوعة من مادية ومعنوية.

فالمسلمون الآن كما وصفهم الرسول الكريم (صلوات الله وسلامه

عليه) كثرة كغثاء السيل، قد وضع الله في قلوبهم الوهن، ونزع هيبتهم من قلوب أعدائهم، ولا شك أنهم في وضعهم هذا غير صالحين للدعوة إلى الله، لا بمظهرهم وأحوالهم فإنه مظهر غير كريم، ولا بحرارة إيمانهم وقوة يقينهم، فقد انطفأت هذه الحرارة من قلوبهم، وضعفت هذه القوة فيهم، وقد جبل الناس على أن ينظروا إلى أرباب الدعوات قبل أن يستمعوا إليهم، فإذا وجدوهم صالحين أقوياء مؤمنين بما يدعون إليه، عاملين به، كان ذلك من أسباب قبول دعوتهم، والاستجابة لهم، وإن كانت الأخرى سخروا منهم، واشمأزوا من الانتساب إليهم، وإني لأعتقد أن أكبر صارف لأهل المدنيات الحاضره عن اعتناق الإسلام هو حالة أهله التي تثير الاشمئزاز منهم، وتصد عن دينهم، ولا شك أنهم بذلك يظلمون الإسلام، ولكن أهل الإسلام له أظلم لوكانوا يعلمون.

أيها الإخوان:

علينا أن نتساءل بعد أن تبينا هذه الحقيقة المؤلمة وذقنا مرارتها: ما السبيل إلى استعادة المسلمين مجدهم،وقيامهم بواجبهم الذي كلفهم الله به؟.

ليس الجواب على ذلك بعسير، وإنما العسير الذي يجب أن تتضافر عليه الجهود، وتحشد له القوى هو تطبيق هذا الجواب بصورة عملية.

إنه لا نهوض لهذه الأمة من كبوتها، ولا قيام لها برسالتها إلا إذا صلحت أولا في نفسها، وصلاحها يتوقف على أمرين:

أولهما: أن يؤمن أبناؤها عن بينة وبصيرة بأن هذا الدين هو سر عظمتهم، ومبدأ سيادتهم وعزتهم وأنهم على حسب ما ينحرفون عن تعاليمه ومبادئه يصابون في بلادهم وأنفسهم وسائر أحوالهم بالضراء

وألوان الشقاء.

وثانيهما: أن ينسوا أحقادهم وميراث عداوتهم الذي أورثتهم إياه عوامل الضعف، وعهود الذلة والخوف وتسلط الأعداء، فيعودوا كما تركهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمة واحدة عزيزة كريمة تشعر بعزتها وكرامتها، ولا غرض لها إلا إعلاء كلمة الله، ونشر دينه والدفاع عن الحق حيثما وجدت لذلك سبيلا.

* * *

إن المسلمين إذا آمنوا حق الإيمان بالأمر الأول استقر في قلوبهم حب دينهم، وحرصوا على أن يسلكوا سبيله في حياتهم، وأن يسيروا على خطته ومنهاجه السديد في كل شؤونهم فإن الإيمان بشيء ما، هو أساس حبه وتوجه الرغبة إليه، والحب الصادق يملك على صاحبه جوارحه وأعماله كما يملك قلبه وعواطفه.

والسبيل إلى غرس هذا الإيمان في قلوب المسلمين هو أن يتعاون أهل العلم والرأي في كل شعب على تعليم المسلمين دينهم تعليمًا صحيحًا، وأن يظهروهم على ما في هذا الدين من محاسن، ويقنعوهم بما يكفله لأهله من سعادة وقوة، وينفوا عنه ما أدخل عليه من خرافات وأوهام كان الركون إليها سبب ضعفهم واستكانتهم.

ولا شك أن على الأزهر في ذلك أكبر قسط ـ كما قلت في حديث لي من قبل ـ فإنه الجامعة الدينية التي تهوي إليها أفئدة المسلمين من كل صوب، والتي تضم طلابًا من مختلف أجناسهم نفروا إليها ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، وإذا كان من واجبي أن أوجه علماء هذه الجامعة ومتعلميها تلك الوجهة الصالحة فإن من واجبي أيضًا أن أدعو سائر أهل العلم في مختلف الشعوب والطوائف

الإسلامية كي يقوموا بما عليهم من ذلك ويبثوا الدعوة للدين والعلم به في أقطارهم ويحثوا على الأخذ بها أبناء وطنهم، حتى يكون الإصلاح عامًا، والتوجيه كاملا.

* * *

أما الأمر الثاني وهو أمر الاتحاد وائتلاف القلوب والغض عن كل ما يثير الأحقاد، فذلك أمر له فائدته الكبرى في التعجيل بالقضاء على الضعف والتفرغ لما ينفع المسلمين، ويصلح شأنهم، وإظهار الأمة الإسلامية بمظهر الأمة الواحدة التي تعرف ما لها، وتدعو إلى منهاج واضح مسلم به بين أبنائها.

إن المسلمين جميعًا متفقون على أصول الإيمان الصحيح لا ترى فيهم من ينازع في شأنها أو يختلف عليها، وإنما يختلفون فيما وراء ذلك من المعارف التي خاض الناس فيها قديمًا وحديثًا والتي لم يكلف الله أحدًا منهم باعتقاد شيء معين فيها، ولست أجد فارقًا بين اختلاف الناس في قضية من تلك القضايا الكلامية التي لا تمت إلى عقيدة من العقائد الواجبة واختلافهم في قضية من قضايا النحو مثلا، فلكل وجهة هو موليها، ولا ينبغي أن ينسينا هذا الخلاف أخوَّتنا، ولا أن يحل الرابطة التي اعتصمنا جميعًا بها بمقتضى إيماننا.

والسبيل إلى تحقيق ذلك هو العلم أيضًا، فإن التعمق في البحث سيبين لنا أن الخلاف الذي فرق بين الأمة الواحدة وجعلها طوائف وشيعًا هو أقل وأضعف من أن يؤدي إلى ذلك، وإنما ضخمته السياسة الجائرة، والأعداء الذين يفيدون من تفرق الأمة واختلاف أهوائها وتعدد مشاربها، ولو أنهم لم يجدوه لخلقوه.

وبالعلم أيضًا نستطيع القضاء على كثير من أنواع الخلاف، ما دام

الحق رائدنا، والإنصاف قائدنا.

* * *

ولقد قامت في مصر جماعة من كبار علماء المسلمين ومفكريهم ترمي إلى التقريب بين المسلمين وإظهار كل طائفة على ما عند الأخرى من علوم ومعارف، وتهوين شأن الخلاف على ما وراء العقائد الواجبة.

والأزهر الشريف باعتباره المرجع الأول لعلماء السنة قد رحب بهذه الجماعة وآزرها واشترك فيها بطائفة من كبار علمائه، وهو يساهم في تحرير مجلتها مساهمة فعلية، ولا شك أن قيام هذه الجماعة من شأنه أن يفتح عيون المسلمين في كل طائفة على الحقائق العلمية والتاريخية التي كانت محجوبة عن كثير منهم، فتتقارب بذلك قلوبهم، ويتحرروا من أسر الأوهام في كثير من خلافاتهم، ويصبحوا كما كانوا بنعمة الله إخوانًا صادقين متعاونين، وإني بوصفي وكيلا لهذه الجماعة (جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية) لأدعو سائر إخواني من المسلمين إلى تأييدها، ومؤازرة فكرتها الصالحة بإنشاء فروع لها، والمساهمة في بيان الحقائق العلمية والتاريخية التي تفيدها، فإن ذلك من التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به المؤمنين.

* * *

هذا رأيي فيما يصلح به شأن المسلمين، ويمكنهم من القيام بما أوجبه الله عليهم من الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليعودوا كما كانوا خير أمة أخرجت للناس، والله أسأل أن يهب العالم من لدنه رحمة تهديه إلى الحق، وتشرح صدور أهله إلى الإسلام دين السلام».

التقريب في فكر عبدالرحمن الكواكبي

• المجتهد التبريزي في أم القرى يمثل التوجه الجعفري الإيراني • المتأخرون أخلدوا إلى التقليد حتى في أصول الدين • اختلاف الأمة يكون رحمة إذا حسن استعماله • الصحابة مع اجتهادهم وتخالفهم في الأحكام كان يصلّي بعضهم خلف بعض • أبو حنيفة وأمثاله خالفوا أبي بكر وعمر (رض) في كثير من الأحكام الاجتهادية • يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب تجاه المذهب الآخر.

عبدالرحمن الكواكبي (١٢٧١- ١٣١٩ هـ/ ١٨٥٥- ١٩٠٢)، يعود نسبه إلى الأسرة الصفوية التي حكمت في إيران. تلقى العلوم في المدرسة الكواكبية بحلب، وعمل في الصحافة والمحاماة كما تولى بعض المناصب الرسمية، تعرض للاضطهاد والسجن مرارًا، هاجر من حلب عام ١٣٨١هـ/ ١٩٠٠م فطاف في الجزيرة العربية وشرقي أفريقيا، والهند، والشرق الأقصى، ثم استقرّ في مصر.

الكواكبي في كتابه *أم القرى* يعقد ندوة إسلامية عالمية يجتمع فيها الشامي، والمكي، والصيني، والهندي والقازاني، والانكليزي، والسندي، والأفغاني، والكردي، والتركي، والتاتاري، والرومي، والتبريزي، والمصري، والاسكندري، واليمني، والبصري، والنجدي، والمدني، والتونسي، والفاسي.. وكلهم يدور حديثهم حول سبب تخلّف العالم الإسلامي، مما يدلّ على أن هاجس النهضة كان هو الذي يسيطر على فكر الكواكبي واهتماماته.

ولم تغب الخلافات المذهبية والطائفية عن فكر الكواكبي في هذا المؤتمر.

فنجد في إحدى جلسات الحوار حديثًا عن التأليف بين مذاهب المسلمين، وأهمية هذا الحديث أنه من قول «المجتهد التبريزي» وهي تسمية لها دلالتها، فالمتحدث «مجتهد» وهذا يعني أنه شيعي ينتمي إلى المدرسة التي تجيز الاجتهاد، ثم هو تبريزي، أي إيراني تركي، وهو نفس الأصل الذي ينتمي إليه الكواكبي الصفوي، وجاء في هذا الحوار:

«قال المجتهد التبريزي: إني أرى أنّ الإسلام أصابه فتنتان عظيمتان، ولولا قوّة أساسه البالغة فوق ما يتصوّره العقل لما لبث الدِّين إلى الآن.

أمـا الفتنـة الأولى: فقـد قـدَّرَها اللّه، ومضـت علـى وجهها، وهي حين تشاجروا في الخلافة والملك، وانقسموا على أنفسهم، بأسهم بينهم، يقتل بعضهم بعضًا، وتفرّقوا في الدِّين لتفرقهم في السياسة.

وأما الفتنة الثانية: فلم تزل مستمرة، وهي أنّ الخلفاء العباسيين مالوا إلى تعميق النظر في العقائد، فَخَدمهُم مَنْ خدمهم من علماء الأعاجم تقرّبًا إليهم في علم الكلام، وأكثروا من القيل والقال، ثم سرت العدوى إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من المذاهب، فأقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافات بين أبي حنيفة والشافعي. وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحربًا صمّاء، وتركوا بقيّة المذاهب، فاندرست، ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد في جزيرة العرب، ومذهب مالك في المغرب ومذهب جعفر في بلاد الخزر وفارس. فأكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب، كلّ مؤلف يجب أن يبدي ما عنده ليشتهر فضله، وينال حظّه من دنياه، زاعمًا أن غرضه استنباط دقائق الشَّرع وتقرير علل المذاهب. فتزاحموا، وتجادلوا، وناقض بعضهم بعضًا، وكان من العلماء بعض الصلحاء المغفّلين شاركوهم في الفتنة وهم لا يشعرون كما قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ

يَشْعُرُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾.

وهكذا اتّسعت دائرة الأحكام في الشرع، فصار الخَلَفُ عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع إلى الأصول، فاطمأنت الأمة للتقليد، وأقبل العلماء على التعمقات في الدِّين: يغرب المفسّر، ويتَفَنَّنُ ولو بحكايات قاضي الجنّ لأنه غير مطالب بدليل. ويتفحَّص المحدّث عن نوادر الأخبار والآثار ولو موضوعة لأنه غير مسؤول عن سنده. ويستنبط الفقيه الحكم ولو بالشبه من وجه للازم اللازم للعلة لأن مجال التحكّم واسع. وهذه الفتنة لم تزل مستمرة إلى أن أوقفها قصور الهمم عند الأكثرين.

على أن هؤلاء المتأخرين أخلدوا إلى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدِّين، ومبدأ الإيمان واليقين، والفارق بين الكفر والإسلام. وجعلوا أنفسهم كالعميان، لا يميزون الظلمة من النور ولا الحق من الزور، وصاروا يحسنون الظنّ في كل ما يجدونه مدوَّنا بين دَفَّتَي كتاب، لأنهم رأوا التسليم أهون من التبصّر، والتقليد أستر للجهل. وصار كل إقليم أو بلد يتعصّبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين، ويتخذون الخلافيات مدارًا لتطبيق الأحكام على الهوى، لا يُبالون

بحمل أثقال الناس في الدِّين على عواتقهم، يزعمون أنَّ التسليم أسلمُ، وأنهم أسراء النقل، وإن خالف ظاهر النّص، ويتوهمون أنّ اختلاف الأئمة رحمة للأمة.

نعم، إن اختلاف الأئمة يكون رحمة إذا حَسُنَ استعماله، ويكون نقمة إذا صار سببًا للتفرقة الدينية والتباغض: كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السلفيين، وبين أهل مصر والمغرب والشام والترك وغيرهم من المستسلمين، وبين أهل العراق العجم وفارس، والصنف الممتاز من أهل الهند الشيعيين، وبين أهل زنجبار ومَنْ حولهم من الإباضيين فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم أنهم وحدهم أهل السنّة والجماعة، وأنَّ سواهم مبتدعون أو زائغون. فهل ـ والحالة هذه ـ يتوهم عاقل أنّ هذا التفرق والانشقاق رحمة لا نقمة، وسببه، وهو التوسع في الأحكام ، سبب خير لا سبب شر؟

وكذلك اختلاف المجتهدين في كلّ فرقة من تلك الفرق، لا يتصوره العقل أن يكون رحمة إلاّ بقيد حَسُنَ استعماله، وإلاّ فيكون نقمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكي وحنفي وشافعي مثلاً.

والمراد من حسن استعمال الخلاف، هو أن كل قوم من المسلمين قد اتبعوا مذهبًا من المذاهب ترجيحًا أو وراثة أو تعصبًا، ولابد أن يكون في المذهب الآخذ به كل قوم

بعض الأحكام الاجتهادية، التي تناسب أخلاق القوم أو لا تلائم أحوالهم المعاشية وطبائع بلادهم، فيضطرّون إلى الإقدام على أحد أمرين: إما التمسُّك بتلك الأحكام، وإن أضرّت بهم، أو الجنوح إلى تقليد مذهب اجتهادي آخر في تلك الأحكام فقط. وقد كان أكثر العلماء وفقهاء المسلمين إلى القرن الثامن، بل التاسع يختارون الشقّ الثاني، فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى، ولكن بَعدَ النظر والتدقيق في الأدلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الأصلية، لئلا يكونوا مقلّدين تقليدًا أعمى لا يجوّزه الدِّين أساسًا إلاّ للجاهل بالكلية.

وهذه الطريقة هي الطريقة المتّبعة إلى اليوم في بلاد فارس، والعلماء المتصدِّرون لذلك هم أفراد من نوابغ العلماء المتضلّعين في علوم مآخذ الدِّين، أكثرهم ولا سيّما الإيرانيون فهم متفقهون ومتخرّجون على مذهب الإمام «جعفر الصادق» (رضي الله عنه) المدوَّن عندهم، ويُطلق أهل فارس على هؤلاء العلماء اسم «مجتهدين» تجوّزًا واتّباعًا لعادة الأعاجم في التغالي في التبجيل ونعوت الاحترام، ومن ذلك يُعلم أنّ ما يظنه فيهم إخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على أحوالهم إلا من تفوّهات السياسيين غير صحيح، فما هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدِّين، مجوّزون الرأي في

الإجماعيات، مخرجون الأحكام أخذًا من الدلائل الظنية، ولو لم يقل بها أحد من علماء الصحابة أو التابعين وأعاظم أئمة الهداية الأوّلين. فما أحرى أن يسمّى مجتهدو فارس بمرجّحين أو مخرّجين أو فقهاء مدقّقين.

ثم إن بعضهم وصفوا المقلِّد لأحد المذاهب، إذا أخذ في بعض الأحكام بمذهب آخر، ملفِّقًا وأخذه تلفيقًا. واستعملوا لفظة تلفيق في مقام التلاعب في الدِّين أو الترقيع القبيح. والحال، ليس ما سمّوه بالتلفيق إلا عن التقليد من كلّ الوجوه، ولابدّ لكل مَن أجاز التقليد أن يجيزه، لأنه إذا تأمّل في القضية يجد القياس هكذا: يجب على كل مسلم عاجز عن الاستهداء في مسألة دينية بنفسه أن يسأل عنها من أهل الذكر، أي يُقلّد فيها مجتهدًا، وكلّ مقلّد عاجز طبعًا عن الترجيح بين مراتب المجتهدين، فبناءًا عليه، يجوز أن يُقلّد في كلّ مسألة دينية مجتهدًا ما.

وما المانع على هذا الاعتبار للمسلم المقلِّد أن يتعلَّم كلَّ مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد أو فقيه تابع لمجتهد، فإذا اغتسل بماء دون قلّتين لحقته قطرة خمر، واعتبره طاهرًا كما علّمه عالم مالكيّ، غسلاً بدون دَلْكٍ كما علّمه عالم حنفيٌّ؛ وبعد حدث موجب توضَّأ، ومسحَ شعرات من الرأس كما علّمه عالم

شافعيٌّ، وصلّى بعد خروج دم قليل منه كما علّمه عالم حنبليٌّ، وصلّى صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علّمه عالم زيديّ، ووصل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علّمه عالم جعفريّ.

أفلا يكون هذا المقلِّد صلّى صلاة تجزئة عند الله؟ بلى، ثمّ بلى، تجزئة بالضرورة حتى لا يقوم دليل على أن ذلك خلاف الأولى، كما يُقال في حقّ الخروج من الخلافات، لأنّه لا يعقل أن يُكلّف هذا المقلِّد بأخذ دينه كلّه من عالم واحد، لأنّ الصحابة (رضي الله عنهم) مع اجتهادهم وتخالفهم في الأحكام كان يصلّي بعضهم خلف بعض، مع حكم المؤتمّ منهم على حسب اجتهاده بعدم صحّة صلاة إمامه، واشتراطه صحّة صلاة المأموم بصحة صلاة الإمام. وهل يتوهّم مسلم أن أبا حنيفة كان يمتنع أن يأتم بمالك، أو أن يأكل ذبيحة جعفر؟ كلا، بل كانوا أجلَّ قدرًا من أن يخطر لهم هذا التعصُّب على بال، وما كان تخالفهم إلاّ من احتياط كلّ منهم لنفسه.

ويوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الإمام أو الفقهاء المعروفين بالمرجّحين، كلّ منهم كان مجتهدًا لم يتقيّد بمذهب إمامه تمامًا، وخالفه في كثير أو قليل من الأحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطّلاعه على أدلّة مجتهد آخر، أو الفتح عليه بما لم يُفتَح به على إمامه.

ولأن الدِّين يُلزمُ المسلمَ بأن يتّبع في كل مسألة منه الشارع لا الإمام، وأن يعمل في مواقع الاجتهاد باجتهاده، لا باجتهاد غيره، وإن كان أفضل منه.

وهذا هو أبو حنيفة وأمثاله (رحمهم الله تعالى)، كانوا أفضل من أن يعتقدوا في أنفسهم الأفضلية على أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، ومع ذلك، خالفوهما في كثير من الأحكام الاجتهادية. وفقهاء كلّ مذهب من المذاهب، لم يزالوا إلى الآن يجوّزون الأخذ تارة بقول الإمام، وتارة بقول أحد أصحابه، مع أن ذلك هو عين التلفيق. فلماذا لا يجوّز الحنفية مثلا التلفيق بين أقوال أبي حنيفة والشافعي ومالك وابن عباس؟ فما هذا إلا تفريق بلا فارق، وحكم بعكس الدليل.

وقد نتج من التفريق بين المسلمين والتشديد عليهم في دينهم ومصالحهم بدون موجب غيرالتعصب المخالفة لأمره تعالى: ﴿ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. (مرحى).

ثم ختم المجتهد التبريزي مقاله بقوله: وليس مقامنا الآن مقام استيفاء لهذا البحث، وإنما أوردت هذا المقدار بقصد بيان جواز التلفيق إذا كان عن عرض صحيح كما جوَّزه كثير من فقهاء كلّ المذاهب.

ولا شك أن ضرورة التلفيق أهم من الضرورة التي لأجلها جوَّز الفقهاء الحيل الشرعية مع أنها وصمة عار

على الشرع. حيث لا يُعقل أن يقالَ مثلاً إنّ الشفعة مشروعة دفعًا للضرر عن الشريك أو الجار، ولكن يجوَّز هذا الإضرار للمحتال، أو أن الربا حرام، ولكن إذا أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفيس جاز استباحة مقصد الربا. أو أن إيتاء الزكاة فرض، ولكن، إذا أخرج ربّ المال مالهُ قبل الحول، ثم استعاده سقطت عنها الزكاة. إلى غير ذلك من إبطال الشرع وجعل التكليف تخييرًا والتقيّد إطلاقًا؛ ولا حجَّة لهم في هذا غير ما رخّص الله به لأيوب (عليه السلام) من التوصل للبرّ باليمين في قوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ وما أبعد القياس بين الحنث وبين إبطال الشرع!! ولا شك أنَّ بذلك صار المسلمون كأنهم لا شرع لهم. وقد غضب الله على اليهود لتحيّلهم على صيد السبت فقط. ونحن نجوّز ألف حيلة مثلها بضرورة وبلا ضرورة.

بناءًا عليه، ومن الحكمة أن نلتمس للضرورات أحكامًا اجتهادية، فيأمر بها الإمام إن وُجِدَ وإلا فالسلطان. ليرتفع الخلاف، فتعمل بها الأمة مادام المقتضي باقيًا. فإذا ألجأ الزمان إلى تبديلها بقول اجتهادي آخر فكذلك يأمر به الإمام أو السلطان رفعًا للخلاف. وبمثل هذا التدبير الذي لا يأباه شرعنا، ولا تنافيه الحكمة نستعوض تلك الحيل المعطّلة للشرع، المسلّمة

لترقيعات كل فقيه ومتفقه، بأحكام شرعية إيجابية لا زيغ فيها.

وبنحو ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب، ويتخلّص القضاء والإفتاء من التوفيق على الأهواء، وحينئذ يتحقّق أنّ الخلاف في الفروع رحمة.

والحاصل، أنّه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصّب لمذهب آخر، فيكون سعيهم هذا منتجًا للتأليف وجمع الكلمة في الأمة.

* * *

قال الأستاذ الرئيس: إنّا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على بيانه لنا حالة إخواننا أهل فارس، وعلى غيرته للدِّين وقصده التأليف بين المسلمين. أمّا تقريره بخصوص أنّ حكم الإمام إن وجدَ وإلا فالسلطان، يرفع الخلاف، وبخصوص أنَّ التلفيقَ هو عينُ التقليد، تقريرٌ يحتاج إلى نظر وتدقيق، وسنقوم بمثل هذه التدقيقات في المسائل الدينيّة التي بحث فيها الإخوان الكرام الجمعية الدائمة التي ستتشكَّل إن شاء الله. واليوم قد آن وقت الظهر، وآن آوان الانصراف» (أم القرى/ ١٤٤ – ١٥١)

ومهما كان رأينا فيما ذكره الكواكبي على لسان المجتهد التبريزي، فإنه يدل على أن الاختلاف المذهبي لا بد من دراسته ضمن إطار حضاري.

منهج الحوار
للتخلص من الطائفية

محمد السيد الدسوقي*

• أخطر أنواع الطائفية يتمثل في القضايا الفكرية • التعصب المذهبي لم تعرفه الحياة العلمية الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى • بعد عصر الازدهار برزت ظاهرة التقليد والتعصب • الاستعمار سعى إلى تكريس النزعة الطائفية والقومية والإقليمية • ثقافة الحوار مهمتها تبادل المعرفة وقبول الحجة المنطقية • ثقافة الحوار لا تنفي المذهبية وإنما تؤكد على التفاهم • لا يمكن أن يسود الحوار بدون سيادة روح التفاهم والتسامح.

مفهوم الطائفية وأنواعها

الطائفية مصدر صناعي من الطائفة، ويعرف المعجم الفلسفي الطائفية بأنها جماعة مغلقة اجتماعيًا أساسها الوراثة والولاء، وتتميز من الطبقة بأنها تقوم عادة على أساس ديني، وأنها أكثر انغلاقًا.

وقد توسع أخيرًا في مفهوم الطائفية بحيث أصبحت تختلط

* ـ الأستاذ بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

بالطبقة وتستعمل مجازًا للذم والطائفية من الكلمات التي لها دلالة محدثة، وهي تعني التعصب لطائفة معينة، وإذا اتسع نطاقها في مجتمع ما فإنها تمزقه وتحول دون وحدته وقوته.

والطائفية لها أنواع متعددة، أو مظاهر متنوعة، فقد تغلغلت في حياة المجتمع الإنساني بحيث أضحت أمرًا مألوفًا في هذا المجتمع، فعلى المستوى العالمي تعبر الأحلاف العسكرية والمذاهب السياسية والاقتصادية، والنزعات العنصرية، وفرض الهيمنة على مصادر الطاقة، وفتح الأسواق في كل دول العالم لمنتجات الدول الكبرى تحت شعار العولمة والتجارة الحرة عن صور من الطائفية التي جلبت على البشرية كل المشكلات الدولية، ومن أهمها احتلال الشعوب وإراقة الدماء وامتهان حقوق الضعفاء، وإخضاعهم لما يحقق مصالح تلك الدول...

وأخطر أنواع الطائفية يتمثل في القضايا الفكرية، ففي المجتمع الإسلامي صراع حول المفاهيم الغربية والسعي لفرضها على الأمة دون اعتبار لخصائصها الذاتية وهويتها العقدية والحضارية، إنه صراع لا يريد للإسلام بقيمه الخالدة وتشريعاته المحكمة أن تسود وتعود، وينادي بفصل الدين عن الدولة وهذا الصراع من ورائه قوى تبذل من الأموال الكثير من أجل أن ينجح في مهمته وهي إضعاف الإسلام، وإبعاده عن الحياة.

ويعد التعصب المذهبي الفقهي والكلامي بين المسلمين في العصر الحاضر من مظاهر الطائفية التي جعلت منهم فرقًا متدابرة

فكل فرقة تعتقد بأنها وحدها على الحق وأن ما سواها ليس في مستوى ما تؤمن به وتحامي عنه وتدعو إليه.

وهذا التعصب المذهبي لم تعرفه الحياة العلمية في القرون الثلاثة الأولى، فقد كانت الروح السمحة تسود هذه الحياة، وكان الفقهاء والعلماء يتواصلون عن طريق الرحلات والمراسلات واللقاءات العلمية في مواسم الحج، ويحترم كل منهم الآخر احترامًا بالغًا ويؤمن بأن الاختلاف في الرأي مصدر ثراء وحرية للفكر لا مصدر صراع وتعصب وإلغاء للآخر.

ولأن الاجتهاد كان السمة العامة في تلك القرون، لا فرق في ذلك بين الأئمة الذين عزيت إليهم المذاهب وبين تلاميذهم، فهم جميعًا مجتهدون مستقلون – كان من يعرض له من الناس أمر يحتاج إلى فتوى يلجأ إلى من يلقاه من الفقهاء، كائنًا من كان فيعمل بما يفتيه، قال أبو طالب المكي: إن الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس، والفتيا بمذهب واحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له من كل شيء والتفقه على مذهبه لم يكن الناس قديمًا على ذلك في القرنين الأول والثاني(قوت القلوب ٣٢٤/١).

وبعد أن تبلورت أصول المذاهب، وانقسمت الأمة إلى طوائف متعددة لم تكن ظاهرة الطائفية قد سادت وتحكمت في الحياة الفقهية والكلامية ، وإن بدت إرهاصاتها فيما صدر عن فقهاء المذاهب من أقوال وآراء، وتعد القرون الثلاثة التي أعقبت نشأة

المذاهب عصر ازدهار للفقه المذهبي وعلم الكلام، ومن ثم عرفت لونًا من الاجتهاد في نطاق المذهب لا في نطاق الشرع، فهو اجتهاد مقيد وليس بمطلق، وكان نشاط الفقهاء في هذا المجال لونًا من السباق العلمي الذي خدم الفقه والكلام ورتب أبوابه وفصوله، وفي الوقت نفسه كان من الأسباب التي حفظت لنا فقه الأئمة المجتهدين، وعملت على تنميته وكثرة الكتابة فيه كتابة موسوعية وموجزة في آن واحد.

وعرفت الفترة الزمنية التي تلت عصر ذلك الازدهار، ظاهرة التقليد والتعصب، ومن ثم افتقدت عنصر الابتكار والإبداع، وكان للطائفية نشاطها بين أتباع المذاهب، ولم يعد هذا النشاط مقصورًا على الاختلاف في الآراء، وإنما تجاوز هذا إلى سفك الدماء وتبادل عبارات التنقص والازدراء.

ولما مني العالم الإسلامي بالاحتلال الغربي كان من أهم أهداف هذا الاحتلال تمزيق وحدة هذا العام وإحياء نعرة ا لجنسية الإقليمية بين شعوبه، وإثارة المشكلات حول الحدود والمياه الإقليمية ازداد نشاط الطائفية، وصدرت وما زالت تصدر دراسات ومؤلفات تحبذ الطائفية، ومع هذا يفرض الواقع المعاصر للأمة، وهو واقع يشهد تآمرًا دوليًا عليها، وليس أدل على ذلك من الدماء التي تراق في العديد من الأقطار الإسلامية بأيدي المسلمين في حماية عسكرية صليبية لهذا التنازع ومن أجل إضعاف الأمة ونهب ثرواتها والحيلولة بينها وبين جمع كلمتها – هذا الواقع يفرض

بذل الجهود العلمية من أجل التخلص من الطائفية وآثارها المدمرة لروابط الأخوة الإسلامية.

نشر ثقافة الحوار

إن نشر ثقافة الحوار يعد ضرورة قصوى ومطلبًا حياتيًا ذا أثر بالغ لكونه المنطلق الأول لقواعد الاتفاق، والمرتكز الأساسي لقبول الجدل العلمي الموصل إلى أحد مقاصد الإسلام العظيمة، وهو التآلف والتقارب والتناصح.

وإذا كان الإسلام في مفهومه التشريعي قد أوجب الحوار الحسن والجدل المقنع مع الكفار والمشركين، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل / ١٢٥)، فهو بالأولى والأحرى إلزامي عند مقتضيات التحاور بين الأخوة المسلمين وبخاصة في أهم القضايا التي تواجه الأمة في حاضرها، وهي قضية الطائفية التي تهدد الروابط الإسلامية الجامعة، وتضعف الصلات الأخوية بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة.

ونشر ثقافة الحوار مهمته تبادل المعرفة وقبول الحجة المنطقية المدعمة بالدليل الشرعي الصحيح دون جمود أو عصبية مذهبية أو عرقية أو أي نوع من أنواع العصبيات الذميمة المخالفة للقواعد الإسلامية، على أن يقتصر الجدل والحوار وتداول الحجة العلمية الصحيحة شرعًا وعقلاً على العلماء والفقهاء وأهل الذكر من

المجتهدين ممن بلغوا من العلم مبلغًا يؤهلهم لدخول هذا الميدان الحيوي المهم.

والمعلوم من الدين بالضرورة أن مجال الطائفية الفكرية في الأمة هو الفروع الفقهية والكلامية، لأن ما سوى هذه الفروع من الكليات والمقاصد العامة وما هو قطعي في ثبوته ودلالته لا مجال فيه للاختلاف والاجتهاد، وقد أجمعت الأمة كلمتها حوله، فلا سبيل للطائفية إليه، ومن ثم تصبح ثقافة الحوار في موضوعية بين العلماء والمفكرين هي الطريق الأمثل للوقوف على وجهات النظر المختلفة، والجدل بالتي هي أحسن حولها، فبهذا يقف كل الأطراف على الآراء والأفكار الخاصة، وتسعى لتضييق دائرة الاختلاف بينها، وتجعله في النطاق المشروع، وهو النطاق الذي يحترم الخصوصية المذهبية دون أن يجور هذا على الوحدة الإسلامية، مع نبذ كل ما يتعارض مع هذه الوحدة.

وما دام مجال الطائفية هو الفروع الفقهية والكلامية فإن مهمة نشر ثقافة الحوار ينبغي أن تسترشد بما صدر عن الأئمة جميعًا من آراء لا تعرف التعصب الفكري، وإنما تؤمن بالتواصل والتعاون العلمي، لأن هؤلاء الأئمة كانوا يصدرون عن مصدر واحد، وكانوا مثلاً للتواضع واحترام الرأي الآخر، وكانوا ينهون تلاميذهم عن التعصب، ويحضونهم على الاجتهاد وينبهونهم إلى أن آراءهم عرضة للخطأ والصواب ولا يجوز الأخذ بها إلا بعد التقين من صحتها، فهذا الإمام جعفر الصادق يقول: اسأل العلماء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعنتًا وتجربة، وإياك أن تعمل برأيك

شيئًا، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً.

ويقول الإمام جعفر الصادق أيضًا: العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا تزيده سرعة السير إلا بعدًا.

ويقول الإمام أبو حنيفة: علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب، ويقول أيضًا: لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا حتى يعلم من أين قلنا.

وجاء عن الإمام مالك: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي، كلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

وهذا الإمام الشافعي يقول لصاحبه الربيع: يا أبا إسحاق لا تقلدني في كل ما أقول، وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين.

وروي أن الإمام أحمد بن حنبل كان يقول لتلاميذه: انظرا في أمر دينكم فإن التقليد لغير المعصوم (يقصد رسول الله(ص)) مذموم، وفيه عمى للبصيرة، وقال أيضًا: لا تقلدني ولا مالكًا ولا الشافعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا.

ولكن ما حذر منه الأئمة وقع فيه التلاميذ، فقد أخذ هؤلاء يذيعون بين الناس آراء الأئمة، وهو أمر لا بأس به، ولكن البأس جاء من ناحية أن تلامذة كل إمام تعصبوا لآرائه ونسوا أن هذه الآراء اجتهادية، وفهم بشري للنصوص الشرعية، فلا يصح أن تؤدي إلى تعصب وتحزب وإنما يجب أن تظل آية على حيوية الفكر الإسلامي وخصوبته وثرائه وأن تكون الثروة الفقهية للأئمة ملكًا للأمة كلها تنتفع بها في حاضرها ومستقبلها.

ولكن أتباع المذاهب وبخاصة المتأخرين منهم صوروا المذهبية على أنها التزام مذهب معين، ولا يجوز لأحد أن يعمل بغير مذهبه، وعليه أن يقبل آراء المذهب دون مناقشة لها أو اعتراض عليها، وقد أفتى بعضهم بأنه لا يجوز الانتقال من مذهب إلى آخر وأن من فعل هذا يعزر.

إن نشر ثقافة الحوار منطلقها التذكير بما جاء عن أئمة المذاهب من أقوال أومأت آنفًا إلى طرف منها مع التأكيد على أن ما حكم الحياة المذهبية من تعصب تطور إلى صراع بين أتباع الأئمة يدل على مخالفة واضحة لما قاله هؤلاء الأئمة ودعوا إليه، ولا يعني هذا الدعوة إلى إلغاء المذهبية، وإنما هو الحرص على أن يسود بين أتباع المذاهب التفاهم الذي يبرأ من التعصب ويضيق به، فقد ثبت علميًا أن مصادر كل المذاهب واحدة، وإن اختلفت مسميات بعض هذه المصادر، لأنها كلها ترجع إلى النص والاجتهاد، ومن ثم كان أوجه الالتقاء والاتفاق بين المذاهب الفقهية أكثر وأوسع من أوجه الاختلاف.

وحتى يكون لنشر ثقافة الحوار دور فاعل في التخلص من الطائفية ينبغي أن تسود روح التسامح بين الجميع في الأقوال والأفعال، والتسامح يعني اللين والتساهل والجود والكرم وهي صفات يتحلى بها المسلم، لأن عقيدته تأمر بالحفاظ عليها، والدعوة إليها، ومن ثم لا يعرف في تصرفاته غلظة أو جفوة أو تعصبًا، وإنما يعرف حقوق الأخوة الإسلامية من المودة والمحبة والاحترام المتبادل في الآراء والاجتهاد والنظر إلى المذاهب نظرة

علمية رشيدة ترفض أن تكون سببًا للتعصب والصراع، وإنما تجعل منها آية من آيات حرية الفكر والرأي في الإسلام.

وإذا كانت الدعوة إلى التسامح تحض على القيم الأخلاقية التي بعث محمد ﷺ لإتمامها فإن من هذه القيم العمل دون كلل أو ملل لتوحيد الأمة والتقريب بين مذاهبها، وهذه مهمة العلماء فإذا قاموا بها على أحسن وجه، فأفاضوا القول في مساوئ التعصب وأسهبوا في ضرورة التقريب ومنافعه، فبهذا تنتشر ثقافة التقريب وتتضاءل أو تنمحي مفتريات التعصب، فتلتقي الأمة على كلمة سواء وتكون عن جدارة خير أمة أخرجت للناس.

ويدعم ما سبق الحدث عنه المشاريع العلمية والثقافية والاجتماعية المشتركة، فهذه المشاريع على تنوعها تحقق لونًا من التكافل والتكامل والتعاون بين الشعوب الإسلامية، وتوثق عرى المودة والثقة والتفاهم حول ما ينفع الأمة، ويشد أزرها، ويرد كيد الأعداء عنها.

على أن نشر ثقافة الحوار لا يجوز أن تظل في دائرة العلماء والمفكرين، وإنما يجب أن تتجاوز هذه الدائرة لتخاطب جمهرة المثقفين والمتعلمين، والسبيل إلى ذلك اللقاءات العلمية والفكرية بين قادة الرأي والعلماء والمفكرين والفقهاء وبمشاركة الأجهزة المختصة المعنية سواء منها ما كان على المستوى الرسمي، أو على مستوى المنظمات الحكومية وغير الحكومية العاملة في إطار العمل الإسلامي بقصد توسيع دائرة الحوار وشموليته لأكبر جمهور إسلامي ممكن، وبفرض تضافر العمل المشترك، وتبادل

الرأي والمشورة، وانتشار أضوائه على كل بقاع العالم الإسلامي، وليسهل التعريف بالأنشطة التي تستهدف التقريب والتلاحم الفكري والمذهبي بين أفراد المسلمين.

ولا خلاف في أن ملتقيات الشباب ومعسكراتهم التي تتكرر سنويًا من أهم مجالات نشر ثقافة الحوار، وتقديم الصورة الصحيحة عن الإسلام والمذاهب الفقهية والكلامية، وضرورة الوحدة الإسلامية، التي تبين الحقائق عن صور الاختلافات بين العلماء، وتتضح الصورة الصحيحة عن المذاهب الإسلامية، وأنها ليست عقبة في طريق التقارب والوحدة ولكن التعصب لهذه المذاهب هو الذي يجعل منها عقبة تحول دون جمع الكلمة وتحقيق التقارب والوحدة.

ويمكن للجامعات والمعاهد ومدارس التعليم مجتمعة ومنفردة وكذلك مراكز البحث والدراسات المتخصصة والمساجد ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة أن تسهم بدور إيجابي في توجيه عقول الناشئة، وتبصيرهم بالحقائق التي تؤهلهم للعمل من أجل تحقيق مقاصد التقريب.

إن رسالة نشر ثقافة الحوار الموضوعي تتلخص في فهم الحقائق، وضرورة ا لتقريب، واعتصام الأمة كلها تحت راية الوحدة الإسلامية مع احترام المذاهب، والأخذ بالمبدأ القائل: نلتقي حول ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج / ٤٠).

منهج الشيخ كاشف الغطاء في التقريب

• اهتم الشيخ كاشف الغطاء بتوضيح مفهوم الإمامية لمواجهة الطائفية • توحّد المسلمين في الجامعة الإسلامية هو الحياة في رأي الشيخ • أيها المسلمون (والنداء لكاشف الغطاء) لا يمكن أن تحققوا الاتحاد بالخطب والمقالات • الاتحاد يتحقق بصفاء النية وإخلاص الطوية • الوحدة الحقة أن يرجّح كل فرد في الأمة المصلحة الاجتماعية على المصلحة الفردية • الشيخ كاشف الغطاء كان أول المباركين لإقامة دار التقريب في القاهرة.

يمكن أن نطلق على الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (١٢٩٤- ١٣٧٣هـ/١٨٧٧- ١٩٥٥م) ، بأنه شيخ المراجع التقريبيين المعاصرين في النجف الأشرف. تتلمذ الرجل على يد كبار علماء عصره كالشيخ محمد كاظم الخراساني، والملا رضا الهمداني، والسيد كاظم اليزدي، والميرزا حسين النوري، وتخرج عليهم فقهيًا بارعًا ، غير أن فهمه لفقه الإسلام اتسع ليشمل التفسير والأخلاق والثقافة والأدب والسياسة.

هذا الانفتاح الواسع على فقه الإسلام جعله يعيش مقاصد هذا الدين المبين، ويحمل هموم الأمة الإسلامية التي تعيش في ظروف لا تتناسب وهذه المقاصد.

نقف هنا عند مشروعه التقريبي:

لقد تعرض الإمامية عبر التاريخ إلى الكثير من التهم التي بلغت حد التكفير، وما كان من الشيخ إلا أن يتصدّى لإزالة الغبار عن هذه الحقيقة، فألف كتابه القيم *أصل الشيعة وأصولها*، إضافة إلى بحوثه ومقالاته التي عالجت نفس الموضوع وسنتعرض هنا ـ وبشكل مجمل ـ إلى منهجيته في عرض قضية الإمامية:

١ ـ إنّ توضيح مفهوم الإمامية من قِبَله (رحمه الله) لا تعني إثارة المسألة الطائفية بل هي حرب ضد الطائفية.

٢ ـ كانت كتابات الشيخ بهذا الصدد ضرورة استدعتها الظروف الملحة للرد على بعض الأقلام التي أخذت تطعن بالإمامية عن جهل، وعدم تريث ومراجعة دقيقة.

٣ ـ كان لأسلوبه الجيد ردود فعل واسعة النطاق لما اتسم به من روح المحبة والهدوء والابتعاد عن العاطفة والانفعال.

٤ ـ كان تبنيه لمختلف المسائل ذات العلاقة بالموضوع يتسم بالعلمية وعدم التعقيد، والرجوع إلى الدليل والعقل والإقناع، ومن هنا يقول في معرض شرحه لدواعي التأليف:

«إنّ جماعة من أبناء السنة في العراق لا يعرفون من أحوال الإمامية شيئًا مع دنو الدار وعصمة الجوار. كتب إليّ قبل بضعة

أشهر شاب مهذب عريق بالسيادة من الإمامية في بغداد: أنّه سافر إلى لواء الدليم (المتصل ببغداد الأنبار الحالية) وأكثر أهاليها من السنة، فكان يحضر نواديهم فيروق لهم حديثه وأدبه، ولما علموا أنّه من الشيعة صاروا يعجبون، ويقولون: ما كنا نحسب أن في هذه الفرقة أدبًا وتهذيبًا، فضلاً عن أن يكونوا ممن له علم أو دين.، وكان هذا الشاب يستثير حميتي بقوارص الملام، ويحثني بالطلب المتتابع على أن أكتب عن الشيعة رسالة موجزة تنشر بين الأمم الجاهلة، وتعرفهم ولو بالنزر اليسير».

وجاء في مقدمة الطبعة السابعة من كتاب: *أصل الشيعة وأصولها*.

«لم يبق ذو حس وشعور في شرق الأرض وغربها، إلا وقد أحسّ وشعر بضرورة الاتحاد والاتفاق، ومضرة الفرقة والاختلاف، حتى أصبح هذا الحس والشعور أمرًا وجدانيًا محسوسًا يحس به كل فرد من المسلمين، كما يحس بعوارضه الشخصية من صحته وسقمه، وجوعه وعطشه، وذلك بفضل الجهود التي قام بها جملة من أفذاذ الرجال المصلحين في هذه العصور الأخيرة، الذين أهابوا بالمجتمع الإسلامي، وصرخوا فيه صرخة المعلم الماهر، وتمثّلوا للمسلمين بمثال الطبيب النطاسي (الحاذق) الذي شخّص الداء وحصر الدواء، وأصاب الهدف بما عيّن ووصف، وبعث النفوس بعثًاحثيثًا، وشوّقها إلى استعمال الدواء لقطع مادة ذلك الداء الخبيث، والعلل والأمراض المهلكة، قبل أن تقضي على هذا

الجسد الحي، فيدخل في خبر كان، ويعود كأمس الدابر.

صرخ المصلحون فسمع المسلمون كلهم عظيم صرخاتهم بأن داء المسلمين تفرقهم وتضارب بعضهم ببعض، ودواؤهم ـ الذي لا يصلح آخرهم إلا به كما لا يصلح إلا عليه أولهم ـ ألا وهو الاتفاق والوحدة، ومؤازرة بعضهم لبعض، ونبذ التشاحن، وطرح بواعث البغضاء والإحن والأحقاد تحت أقدامهم، ولم يزل السعي لهذا المقصد السامي، والغرض الشريف إلى اليوم دأب رجالات أنار الله بصائرهم، وشحذ عزائمهم، وأشعل جذوة الإخلاص لصالح هذه الأمة من وراء شغاف أفئدتهم، فما انفكوا يدعون إلى تلك الوحدة المقدسة، .وحدة أبناء التوحيد، وانضمام جميع المسلمين تحت راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» من غير فرق بين عناصرهم ولا بين مذاهبهم.

يدعون إلى هذه الجامعة السامية، والعروة الوثقى، والسبب المتين الذي أمر الله تعالى بالاعتصام به، والحبل القوي الذي أمر الله عزوجلّ به أن يوصل، يدعون إليها لأنها هي الحياة، وبها النجاة للامّة الإسلامية، وإلاّ فالهلاك المؤبّد، والموت المخلّد.

أولئك دعاة الوحدة، وحملة مشعل التوحيد، أولئك دعاة الحق، وأنبياء الحقيقة، ورسل الله إلى عباده في هذا العصر، يجدِّدون من معالم الإسلام ما درس، ويرفعون من منار المحمدية ما طمس، وكان بفضل تلك المساعي الدائبة، والجهود المستمرة من أولئك الرجال (وقليل ماهم) قد بدت بشائر الخير، وظهرت طلائع

النجاح، ودبَّت وتسرَّبت في نفوس المسلمين تلك الروح الطاهرة، وصار يتقارب بعضهم من بعض، ويتعرض فريق لفريق.

أمّا حيث تكون الآراء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب متآلفة، والأيدي مترادفة، والبصائر متناصرة، والعزائم متوازرة، فلا القلوب متضاغنة، ولا الصدور متشاحنة، ولا النفوس متدابرة، ولا الأيدي متخاذلة، فهناك: العز والبقاء، والعافية والنعماء، والقهر والقوة، والملك والثروة، والكرامة والسطوة، هناك يجعل الله لهم من مضائق البلاء فرجًا، ومن حلقات السوء مخرجًا، ويبدلهم العزّ مكان الذلّ، والأمن مكان الخوف. فيصبحوا ملوكًا حكّامًا، وأئمة أعلامًا.

وهيهات أن يسعدوا مالم يتحدوا، وهيهات أن يتحدوا مالم يتساعدوا. فيا أيّها المسلمون لا تبلغون الاتحاد الذي بلغ به آباؤكم ما بلغوا بتزويق الألفاظ، وتنميق العبارات، أو نشر الخطب والمقالات، وضجيج الصحف وعجيج الأقلام... ليس الاتحاد الفاظًا فارغة، وأقوالاً بليغة وحكمًا بالغة مهما بلغت من أوج البلاغة، وشأو الفصاحة... ملاك الاتحاد، وحقيقة التوحيد هنا: صفاء نية، وإخلاص طوية، وأعمال جد ونشاط. وقد عرف اليوم حتى الأبكم والأصم من المسلمين أن لكل قطر من الأقطار الإسلامية حوتًا من حيتان الغرب، وأفعى من أفاعي الاستعمار فاغرًا فاه لالتهام ذلك القطر وما فيه... أفلا يكفي هذا جامعًا للمسلمين، ومؤجّجًا لنار الغيرة والحماس في عزائمهم، أفلا

تكون شدة تلك الآلام وآلام تلك الشدة باعثة لهم على الاتحاد وإماتة مابينهم من الأضغان والأحقاد، وقد قيل «عند الشدائد تذهب الأحقاد»؟!!

وكيف يطمع المسلم أن يكتسح أخاه المسلم أو يستعبده، وهو شريكه في البلاد من أقدم العهد وأبعد الأجداد؟ أفلا تسوقهم المحن والمصائب التي انصبت عليهم صب الصواعق من الأجانب، إلى إقامة موازين العدل والتناصف فيما بينهم، ويحتفظ أهل كل قطر على التعادل الانتفاعي، والتوازن الاجتماعي؟...

إنّما الوحدة الحقة، والإخاء الصحيح الذي جاء به الإسلام، بل جاء بالإسلام، وتمشّت عليه الأمم الراقية، وبلغت أوج العزّ والقوة: **أن يرى كلّ فرد من الأمة أنّ المصلحة النوعية هي عين المصلحة الفردية، بل هي فوقها**، وهذه الصفة خفيفة في اللسان، ثقيلة في الميزان، بعيدة في الإمكان، يكاد أن يكون تحققها عندنا معشر المسلمين من المستحيلات، لاسيما من كل طائفة بالنظر إلى الأخرى التي تنظر كل منهما إلى الأخرى نظر العدو الألد، والمخاصم المزاحم، وإذا جامله في القول، أو أظهر له الولاء، فلن يجامله إلا ليخاذله، ولن يصانعه إلا ليخادعه، أمّا ملقًا أو تزلّفًا لغاية واهنة، أو توسلاً إلى أن يبتز ماله، أو يسلبه حقّه، أو تكون له السلطة عليه والاستعباد له، وكلهم جارون على غلوائهم في هذه السخائم التي صارت لهم ضربة لازب، لاتصدهم عنها صرخة ناصح، ولا صيحة زاجر، ولا عظة بليغ.

ينسى الكلُّ أو يتناسى عدوهم الصميم الذي هو لهم بالمرصاد، والذي يريد سحق الكلِّ، ومحو الجميع، ويبث بذور الشقاق بينهم ليضرب بعضهم ببعض، وينصب أشراك المكر لصيد الجميع. ولا يسلم المسلمون من هذه الشراك المبثوثة لهم في كلِّ سبيل حتى يتحدوا عملاً لا قولاً، وجِدًا لا هزلاً، وأقرب وسيلة إلى تنمية تلك البذرة، وتقوية تلك الفكرة – فكرة الاتحاد الجدي – هو: عقد المؤتمرات في كلِّ عام أو عامين، يجتمع فيها عقلاء المسلمين وعلماؤهم من الأقطار النائية، ليتعارفوا أولاً، ويتداولوا في شؤون الإسلام ثانيًا.

بل وأوجب من هذا: عقد المؤتمرات والمعاهدات بين حكّام المسلمين «لو كان للمسلمين حكام حق» فيكونون يدًا واحدة، بل كيدين لجسد واحد، يدفعان عنه الأخطار المحدقة به من كلِّ جانب، وقد أملت عليهم الحوادث بعد الحرب العامة دروسًا بليغة، وعبرًا محسوسة لو كانوا يعتبرون».

الشيخ كاشف الغطاء كان أول المبادرين إلى مباركة تأسيس دار التقريب في القاهرة، وأول المعلقين على البيان الأول الذي صدر عن الدار. وفي ذلك التعليق نراه يطرح بصراحة وشفافية كل مواضع الاختلاف بين الشيعة والسنة ويرى أنها لا تبرّر وجود خصام بين الفريقين. (رسالة الإسلام، العدد ٧، ص٢٦٨)

البيان الختامي

للمؤتمر الدولي الثالث والعشرين للوحدة الإسلامية

طهران ١٥- ١٧ ربيع الأول ١٤٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد خلقه محمد وآله الطاهرين وصحبه الميامين وبعد:

فبعون الله تعالى، وبمناسبة أسبوع الوحدة الإسلامية في ذكرى ميلاد الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام الصادق(عليه السلام)، عقد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية مؤتمره الدولي الثالث والعشرين للوحدة الإسلامية بطهران من ١٥- ١٧ ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ٢- ٤ آذار/مارس ٢٠١٠م بحضور ٦٥٠شخصية علمية من الجمهورية الإسلامية الإيرانية وسائر أنحاء العالم. وقد خُصص هذا المؤتمر لدراسة موضوع «الأمة بين المذهبية والطائفية».

وقد افتتح المؤتمر سماحة آية الله الشيخ هاشمي الرفسنجاني رئيس مجلس الخبراء ورئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بكلمة جامعة، وحظي المشاركون بلقاء سماحة الإمام الخامنئي (دام ظله) قائد الثورة الإسلامية واستمعوا بهذه المناسبة إلى حديثه التوجيهي القيم.

وتدارس المؤتمرون على مدى ثلاثة أيام عددًا من البحوث التي

دارت حول موضوعه.

وفي ختام جلساته أصدر المؤتمر القرارات والتوصيات التالية:

أولاً: يؤكد المؤتمرون على أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وفرا للأمة الإسلامية أجواءً إنسانية حضارية رائعة، وأشاعا العقلانية وروح الحوار البناء، وحرية الاجتهاد بضوابطه الشرعية، وغرسا روح الأخوة والوحدة بعد أن وضحا خصائص الأمة الإسلامية ورسالتها السامية إلى العالم كله ومن ثم كان تعدد المذاهب حالة طبيعية لها أثرها الإيجابي في تعدد الحلول للمشاكل على ضوء أحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها.

ثانيًا: يوصي المؤتمر بالعمل على تعميق هذه المبادئ والتوجهات ضمانًا للتنوع في النظريات والحلول، وتفعيل الاجتهاد في توعية المجتمع بإسلامه وقرآنه المجيد، والحفاظ على حيويته وتحركه الحضاري، وصيانته من التأثر بالشبهات والانحرافات الفكرية.

ثالثًا: يؤكد المؤتمرون أن الأمة الإسلامية تواجه تحديات كبرى تستهدف شخصيتها وثقافتها ومقومات وجودها ودورها الحضاري المنشود وتتعرض لمؤامرات لتمزيقها جغرافيًا، ولغويًا، وقوميًا، ومذهبيًا، بل وتاريخيًا. كما تسعى لإبقائها متخلفة على الصعد العلمية والاقتصادية والعسكرية وغيرها. وتخطط لإبعادها عن إسلامها والتشكيك في قدرة الإسلام على مواجهة المشاكل الحياتية المستحدثة، وإشاعة السلوكيات المادية والمنحرفة عما رسمته الشريعة، وزرع حالة التقليد والتبعية للغرب والانبهار به.

وكذلك عبر إضعاف التربية والتعليم الإسلاميين والتشكيك في قدرتهما على النهوض بالأمة، وإضعاف الإعلام الإسلامي واختراقه بإشاعة روح الهزيمة والإذعان فيه لئلا يقوم بدوره المطلوب.

رابعًا: يرى المؤتمرون أن: الأهواء والنزعات السياسية، وشيوع حالات التعصب، وجهل بعض أتباع المذاهب بحقيقة المذاهب الأخرى انحرفت بالحالة الطبيعية تلك إلى حالة طائفية ممزقة سادتها ظاهرة التكفير والتطرف والتنافر والتمزق ونقل النزاع الفكري إلى الساحة العملية مما ترك آثارًا سلبية كبرى على قوة الأمة وتماسكها وسهل السبيل ليقوم أعداؤها بطعنها في صميم عقيدتها وتوجهاتها النظرية والعملية الأصيلة.

خامسًا: يرى المؤتمرون انطلاقًا من مسلمات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أن الإسلام جامع لأهل القبلة، ودليلُه الشهادتان اللتان تعصمان دم الناطق بهما وماله وعرضه، كما يرون أن التقريب بين المذاهب الإسلامية سبيل مهم لتحقيق وحدة الأمة في شتى المجالات، وأن المذاهب الإسلامية التي تؤمن بأصول الإيمان وتوقن بأركان الإسلام ، ولا تنكر معلومًا من الدين بالضرورة، يؤلف المنتمون إليها بمجموعهم الأمة الإسلامية الواحدة، وتتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، ويتعاونون لتحقيق الأهداف الإسلامية السامية، وأن الاختلاف السياسي لا يجوز أن يستغل الاختلافات العقدية أو

التاريخية أو الفقهية، وأن إثارة أية فتنة طائفية أو عرقية لا تخدم إلا أعداء الأمة، وتحقق خططهم الماكرة ضدها، وتكرس احتلالهم البغيض لأرضها ينبغي مقاومتها بكافة الوسائل.

سادسًا: تحقيقًا لهذه الوحدة بين أهل القبلة، ولهذا التقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية، يدعو المؤتمرون إلى وجوب احترام كل طرف منهم للآخر، وإلى ترك البحث في هذه الأمور للعلماء والخبراء في بحوثهم العلمية، وعدم الإساءة والتشهير بأحد بحجّة المصارحة. كما يؤكد المؤتمرون على عدم جواز توجيه ما يُعدّ انتقاصًا أو إهانة لما يحترمه أي طرف، ويشمل هذا بوجه خاص عدم جواز انتقاص آل البيت أو الصحابة أو الأئمة، أو سبهم أو إهانتهم أو الغضّ من مكانتهم، أو التعرض لأي شيء يُنسب إليهم بأي نوع من أنواع الإساءة القولية أو الفعلية، وعدم جواز استباحة دور العبادة من مساجد و حسينيات وزوايا ومراقد.

سابعًا: يرى المؤتمرون أن هناك حاجة ماسة لوضع خطط تفصيلية لتحقيق المطلوب في المجالات التالية:

أ ـ رفع مستوى الوعي لدى المسلمين في مختلف المجالات وبخاصة في مجال فهم الإسلام وتعاليمه وأهدافه وفهم الواقع القائم على مختلف الأصعدة والموقف منه.

ب ـ مطالبة الدول الإسلامية بتطبيق الشريعة الإسلامية في كل مجالات الحياة.

ج ـ تفعيل العملية التعليمية والتربوية الشاملة لمختلف قطاعات

الأمة وفق تعاليم الإسلام.

د ـ السعي للوصول إلى توحيد موقف الأمة عمليًا من مختلف القضايا وتحقيق التكافل والتضامن بينها في مختلف المجالات.

هـ ـ تعزيز مؤسسات العمل الإسلامي المشترك كمنظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات غير الرسمية الدعوية والخيرية والتربوية والتعليمية والإعلامية.

و ـ الاستفادة الأنجع من الإمكانات السياسية والاقتصادية والجغرافية، والطاقات العلمية للأمة وتعبئتها لتحقيق الأهداف الكبرى ومقاومة التحديات.

ز ـ مساعدة الأقليات الإسلامية في أنحاء العالم على الاحتفاظ بهويتها وأداء شعائر دينها.

ح ـ العمل الجاد لتطبيق الإعلان العالمي الإسلامي لحقوق الإنسان الصادر من منظمة المؤتمر الإسلامي.

ط ـ تأكيد دور الشعوب الإسلامية في صنع مستقبلها والمشاركة الفاعلة في بناء ذاتها وصيغ حياتها الداخلية و المسيرة الحضارية الإنسانية.

ي ـ تربية الجيل الإسلامي على ثقافة المقاومة والعزة.

ثامنًا: يدين المؤتمرون كل أشكال الاعتداء الصهيوني على شعبنا الصابر والمثابر والمرابط في فلسطين وخصوصاً ما جرى من جرائم وحشية في غزة البطلة الصامدة من تقتيل وتشريد للآلاف وكذلك ما يجري من عمليات هدم لمنازل الفلسطينيين في مدينة

القدس، والتغيير الديموغرافي لطبيعتها وإبطال ما قام به أخيرًا من ضم الحرم الإبراهيمي الشريف ومسجد بلال إلى ما يسميه بالتراث اليهودي، كما يحيون جهاد الشعب الفلسطيني البطل ومقاومته الباسلة ويدعمون جهود المصالحة بين الفصائل الفلسطينية وتوحيدها ويؤكدون من جديد على ضرورة تنفيذ الحقوق الفلسطينية المشروعة وأهمها حقهم في تقرير المصير وإقامة دولتهم المستقلة على كافة الأراضي الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف وحقهم في العودة إلى ديارهم، ويدعو الأمم المتحدة إلى إقرار ما قدم لها من تقرير حول هذه الجرائم و تقرير غولدستون وضرورة معاقبة مرتكبيها من جرائم حرب وجرائم إبادة جماعية وجرائم ضد الإنسانية أمام المحكمة الجنائية الدولية.

تاسعًا: يدعو المؤتمرون كل الفصائل في الصومال إلى الحوار والتعاون في بناء الصومال الحديث والمستقل بعيدًا عن الاقتتال والتنازع ويؤيدون كل الجهود المخلصة المبذولة في هذا السبيل. كما يدينون عمليات الاحتلال والعدوان على كافة الشعوب الإسلامية الأخرى وبخاصة أفغانستان وباكستان والعراق.

عاشرًا: يحيي المؤتمرون جهاد الشعب الإيراني ومسؤولية في سبيل تطبيق شرع الله في مختلف مناحي الحياة، ويدينون كل تآمر على هذه المسيرة الخيرة، كما يعلنون دعمهم لموقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية في تطوير قدراتها النووية للأغراض

السلمية ويدينون كل الأساليب الملتوية التي تحاول منعها من الاستفادة من حقوقها المشروعة التي تكفلها لها القوانين الدولية. ويدعون بلدان العالم الإسلامي إلى الاستفادة من هذه التجربة.

حادي عشر: يشكر المؤتمرون الجمهورية الإسلامية الإيرانية وقائدها الإمام الخامنئي(دامظله)، كما يشكرون المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية على إقامة هذا المؤتمر المبارك واستضافته، ويرون في إقامة أمثال هذه اللقاءات خيرًا كثيرًا.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم.

الإنسان يجب أن يتحرر على يد هذا المولود المبارك (رسول الله)، يتحرر من الحكّام الظالمين المتحكّمين في رقاب المظلومين على مرّ التاريخ، ومن أغلال الخرافات والمعتقدات المنحرفة المذلّة التي تدفع بالإنسان إلى الخضوع والذلة والطاعة لموجودات هابطة أو لإنسان آخر».

« إلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ وعبارة ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ لم تتقيد بزمان، فهي تشير إلى الجهة. البشر بهذه الحادثة يجب أن يتحرك في اتجاه الحرية المعنوية والاجتماعية الحقيقية والعقلانية. هذا عمل قد بدأ، واستمراره بيدنا نحن البشر. وهذه سنّة أخرى في عالم الخليقة».

الإمام الخامنئي

واحة الشعر

في ذكرى المولد النبوي الشريف

عليك سلام الله يا خير مرسل

رضا الهندي

أرى الكونَ أضحى نوره يتوقَّد ... لأمر به نيرانُ فارسَ تخمُدُ
وإيوان كسرى انشقَّ أعلاه مؤذناً ... بأن بناءَ الدين عاد يُشَيَّدُ
أرى أنَّ أمَّ الشِّرك أضحت عقيمةً ... فهل حان من خير النبيين مولد؟
نعم كاد يستولي الضلالُ على الورى ... فأقبل يهدي العالمين محمد

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

نبيٌّ براهُ الله نوراً بعرشه ... وما كان شيءٌ في الخليقة يوجد
وأودعه من بعدُ في صُلب آدمٍ ... ليسترشد الضُّلالُ فيه ويهتدوا
ولولم يكن في صُلب آدم مُودَعاً ... لما قال قِدْماً للملائكة: اسجدوا
له الصدر بين الأنبياء وقبلهم ... على رأسه تاج النبوة يعقد
لئن سبقوه بالمجيء فإنَّما ... أتوا ليبثُّوا أمره ويمهدوا
رسولُ له قد سخَّر الكونَ ربُّه ... وأيَّدَهُ فهو الرسول المؤيّد
ووحَّدَهُ بالعزِّ بين عباده ... ليجروا على منهاجه ويُوَحِّدوا
ووحَّدَهُ بالعزِّ بين عباده ... ليجروا على منهاجه ويُوَحِّدوا
وقارن ما بين اسمه واسم أحمد ... فجاحده، لاشكَّ، لله يجحد
ومن كان بالتوحيد لله شاهداً ... فذاك لطه بالرسالة يشهد
ولولاه ما قلنا ولا قال قائل ... لمالك يوم الدين: إيّاك نعبدُ

ولا أصبحت أوثانهم وهيَ التي ... لها سجدوا تهوي خشوعاً وتسجد

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

لآمنةَ البشرى مدى الدهر إذْ غَدتْ ... وفي حجرها خير النبيين يولد

به بشَّرَ الإنجيل والصُّحْفُ قبلَهُ ... وإن حاول الإخفاء للحقّ ملحد

«بسينا» دعا موسى و«ساعير» مبعث ... لعيسى ومن «فاران» جاء محمد

فسلْ سِفْرَ شعيا ما هتافهم الذي ... به أمروا أن يهتفوا ويمجدوا

ومن وَعَدَ الرحمن موسى ببعثه ... وهيهات للرحمن يُخْلَفُ موعد

وسلْ من عنى عيسى المسيح بقوله ... سأنزله نحو الورى حين اصعد

لعمرك إن الحق أبيضُ ناصعٌ ... ولكنما حظُّ المعاند أسود

أيخلدُ نحو الأرض متّبع الهوى ... وعمَّا قليل في جهنّم يخلد

ولولا الهوى المغوي لما مال عاقل ... عن الحقّ يوماً، كيف والعقل مرشد؟

ولا كان أصناف النصارى تنصّروا ... حديثاً ولا كان اليهود تهوّدوا

أبا القاسم أصدع بالرسالة منذراً ... فسيفك عن هام العدى ليس يغمدُ

ولا تخش من كيد الأعادي وبأسهم ... فإن عليّاً بالحسام مُقلَّد

وهل يختشي كيدَ المضلّين بها وكم ... لوالده الزاكي على أحمد يدُ

وهاجرْ أبا الزهراء عن أرض مكّة ... وخلِّ عليّاً في فراشك يرقدُ

عليك سلام الله يا خير مرسل ... إليه حديث العزّ والمجد يسندُ

حباك إله العرش منه بمعجز ... تبيد الليالي وهو باقٍ مؤبّد

دعوت قريشاً أن يجيئوا بمثله ... فما نطقوا والصمت بالعيِّ يشهدُ

وكم قد وعاه منهمُ ذو بلاغة ... فأصبح مبهوتاً يقوم ويقعدُ

وجئت إلى أهل الحجى بشريعة ... صفا لهمُ من مائها العذب موردُ

شريعة حق إن تقادم عهدها ... فما زال فينا حُسْنُها يتجدّد

عليك سلام الله ما قام عابد ... بجنح الدّجى يدعو ومادام معبد

الحق عند رسول الله محترم

عبدالحميد الشريف

مـاذا أقـولُ بمـن حُطـتْ لـهُ قـدمُ ... بجانـب العـرش وانقـادت لـه الأمـم

مـاذا أقـولُ بمـن زكّـاه خالقـة ... يـرف في السـدرة العصـما لـه علـمُ

مـاذا أقـولُ بمـن في اللـوح صـورته ... وجبرئيـلُ لـه الإعـلانُ والقلـمُ

مـاذا أقـولُ بمـن رايـات دعوتـه ... لهـا الكرامـة والإيثـارُ معتصـمُ

محمـد المصـطفى زالـت بطلعتـه ... عـوالمُ الشـرك والبهتـان، والظلـمُ

محمـد المصـطفى حلـت بسـاحته ... معـالم الحـق تسـتهدي بهـا النظمُ

التضـحيات لـه جسّـر لتعـبره ... مواكـب الثـائرين الغـرّ لـو قـدموا

الثـائرون علـى هـدي وتبصـرةٍ ... يوفون بالنذر في تحرير من ظلموا

الثـائرون علـى بغـي يضـيق بهـم ... بثـأرهم عزمـات الظلـم تنهـزمُ

لـولا محمـد مـا كـان الهـدى وطنـاً ... بـه نسـود ولم يسـلم لنـا حـرمُ

لـولا محمـد لم تطلـع بعزّتهـا ... شمس اليقين ولم يصدق بها قسمُ

هـا نحـن كنـا جماعـات بمعثـرة ... يسـومنا حـاكمُ يسـمو بنـا صـنمُ

قـد مزقتنـا يـد عضـت معاصـمنا ... اللحـم نحـن لهـا والعظـمُ والوَضـمُ

مـذ راح فينـا عمـاد الكفـر منـتعلاً ... رؤوسـنا يمتطيهـا حيـث يقـتحمُ

لـه السـيادة أنـى راح مغتصـباً ... كرامـة النـاس إذ يسـطو وينـتقمُ

واليـوم لـولا رسـول الله مـا عُرفـت ... بنـا الكرامـة والإقـدام والشـممُ

واليـوم عنـد رسـول الله عزتنـا ... يقـال فينـا بأنّـا قـوم مـن رحمـوا

مجمـــد للهـــدى نـــور ومعتصـــم ... محمـــد يقتفيـــه المجـــد والكـــرامُ

الأنبيـــاء بـــه حقـــت رســـالتهم ... كـلُ النبـيين في مضـماره أنتظمـوا

بـه ابتـدوا يبلغـون النـاس دعـوتهم ... لله حقـاً وهـم بالمصـطفى خُتمـوا

هو الصراط الذي في الحشر تعبره ... أهـل الـبراءة إذ يرضـاهم الحكـمُ

هـو الشـفيع الـذي تنجـي شـفاعته ... كل الذين بدين المصطفىاعتصموا

رضـوان يصـحبهم للخلـد تصـحبه ... حـور الجنـان وولـدانٌ لهـم خـدمُ

المصـطفى مالـك الـدنيا وسـيدنا ... إلى هـداه تنـادى العُـربُ والعجـمُ

هـــو الســـعادة لا في غـــير راحتـــه ... تبـدوا البشـائر والآمـال تـزدحمُ

قرائـــه لمعـــاني الحـــق متســـع ... ونهجُـهُ لصـراط العـدل مُنـتظمُ

لا يصـدق العهـد إلا في شـريعته ... إنّ الـذين بـه قـد آمنـوا سـلموا

هـو السـلام شـعوب الأرض تنشـده ... حيث الحروب سُداها الفقر والألمُ

الخـير والسـلم والأنصـاف بارقـة ... لـدى الرسـول تجلّـتْ والبـديلُ دمُ

دم حـــروب ذوي الأطمـــاع تهرقـــة ... والســـلمُ يـــأنف أن يجتاجـــه أثـــمُ

الســـلم آيـــة رب الكـــون أنزلهـــا ... في ليلة القدر والقرآن – لو عملوا

والسـلم عنـد رسـول الله محتسـب ... وســـلمه بعـــود الله محـــترم

قد ذكرتنا ببشرى السلم كاظمة ... كمـــا تنـــادت إلى أنـــواره إضـــم

وهكـــذا عـــبرت أمـــواج شـــعلته ... إلى تهامـة حيـث الركـب يلتـئم

ركـب السـعادة بالإسـلام متصـل ... بالمصـطفى وبـآل البيـت ملـتحم

وبالصـــحابة إذا يـــزداد جمعهـــم ... سـعوا إلى العـروة العصـماء كلهم

تنـاولوا العـروة الـوثقى بكـل يـد ... بيضاءما أختلفوا فيها ولا اختصموا

جئنا نحي رسول الله عن ثقة ... بموكب المولد الوضاء ننتظم
من أجل أن تشهد الأملاك فرحتنا ... فالكل محتفل والكل مبتسم
عهد الخلاص تجلى عند مولده ... أنوار مولده بالعرش ترتسم
بشراك آمنة العقبى بمولده ... لقد حملت ضياء خافه العدم
محمد مكة البطحاء تحضنه ... بجده تفخر الأمثال والحكم
عمرو العلي ولعبد الله سلسة ... هُمُ الكرام وإبراهيم جدهم
لشيبة الحمد تاريخ الهدى حسب ... يكفيه أن بنيه بالهدى حكموا
هذي السلالة إبراهيم أوقفها ... وقد تناهت لطه والهداة هم
وإذ أبو طالب يحميه من فئة ... قلوبها تغتلي حقداً وتضطرمُ
حيوا أبا طالب ردت حميته ... عن النبي قريشاً عندما هجموا
حيوا أبا طالب والصدق شيمته ... الوى الطغاة وما كادوا وما رسموا
يصممون بليل في مساومة ... لكن تصميمهم بالرفض يصطدم
لأن عزم النبي المصطفى جبل ... لن يحتويه ولن يثنيه بطشهم
من بعده لعلي آل موقفه ... يحمي النبي وبالميراث يلتزمُ
كان الفدائي لا يعبأ بنازلة ... مهما تكون وللأعداء يصطلمُ
وحمزة الليث في الهيجا كحيدرة ... بسيفه لعتاة الفكر يلتهمُ
حيوا بني هاشم للظلم قد حطموا ... وأطعموا الناس إكراما بما هشموا
فهاشم وبنوه من مناقبهم ... حماية الكعبة الغرا بها إلتزموا
وجيش إبرهة لما غزا وعدى ... توسّلوا أن يجيب الله سؤلهمُ
فشيبة الحمد يدعوا الله ملتمساً ... يقول يارب بدّد شمل من هجموا

طـيرا أبابيـل أمـر الله أرسـلها ... ترمـى الغـزاة بسـجّيل وتنـتقمُ

قـد حـوّلتهم حطامـاً باليـاً بـدداً ... عصـفاً اكـيلا فـلا رأس ولا قـدمُ

حييـتمُ أنـتم أبطـال أمتنـا ... إذا تفـاخر في أبطالهـا الأمـمُ

حييتمُ كـابراً عـن كـابر شمخت ... بكـم حميـة أهـل العـزم مـا عزمـوا

مكـارم المجـد لا تختـار غيركـمُ ... فـالعز عـزّكمُ والمجـدُ مجـدُكُمُ

مـن لا يحـب رسـول الله تكرمـة ... رفيقـه اليـأس والإخفـاق والسـقمُ

مـن لا يحـب رسـول الله ملتمسـاً ... يـوم القيامـة يعلـو رأسـه النـدمُ

مـن لا يـدين بـدين الله معترفـاً ... لا يرتضـى منـه إيمـانُ ولا قسـمُ

هـذا محمـدُ والقـرآنُ شـاهده ... جبريـل واللـوُح والمعـراج والقلـمُ

واليـوم في كـل دنيانـا لـه أثـرٌ ... علـى جميـع البرايـا فيضـهُ نعـمُ

حرية الـرأي مـن منهاجـه انبثقـت ... خـلاف مـا روّج الأعـداء أو زعمـوا

وللضـمير مقـال الفصـل محترمـاً ... لأن حكم الضمير الحي – محترمُ

لم يلمـس العـدل إنسـانٌ بفطرتـه ... مـن قبـل طه وقد صيغت بـه القيمُ

والعلـم فـرضٌ وشـرط لا بـديل لـه ... فرض الصلاة وفرض العلم منسجمُ

والـنفسُ لابـد أن تهنـأ بصـحتها ... مـوارد العقـل والأبـدان والهمـمُ

بـه إزدهـت مكـة البطحـاء فرحتهـا ... والبيـت والـركن والوديـان والـديمُ

فأهلـها يحسـدون اليـوم كـونهُمُ ... سـادوا علـى أهـل دنيانـا بمـا غنمـوا

إلا الـذين أمـاتتهم ضـلالُتهمْ ... تباعـدوا ونـأوا عـن دربـه وعمـوا

بيانـه ألهـمَ الإنسـان معرفـة ... بهـا الحيـاة ومـا في غيرهـا حُطـمُ

تلقفتـه يـد مـن يعـرب صـدقوا ... ملـوا الضلال ومـن تضليله سئموا

تسارعوا عاقدين العزم أنهم ... للمصطفى جنده والعهد عندهمُ

تحرروا من رباق الكفر مطلبهم ... دين الكرامة والتحرير حسبهُمُ

نريدهم أن يعافوا الذلَّ ثانية ... ويستردوا الإبا من بعدما هزموا

لا يستقيم الإبا والذلُّ ثانية ... فالذُلُّ منقصة والعزّ محتشمُ

الا يخافوا بني صهيون لو زعموا ... بأنّ قوة إسرائيل فوقهمُ

أو أن سلطانهم أمر تقرُّ له ... مصالح الغرب ما خطوا وما رسموا

أو أن خارطة يستحضرون لها ... تضم أوطاننا قسراً وتقتسمُ

تبني كياناً به أحلامهم رسمتْ ... حطواالرحال بأرض العُربواعتصموا

لا تخدعنكم دعواهُمُ أبداً ... هذي أراجيف أعداء بها إتسموا

فمن يصدقهم أو أن يمالنهم ... يروح جهلا إلى الشيطان يحتكمُ

نعم يريدوننا قهراً عبيدهم ... لكننا أبدا نبقى – عدوهمُ

وسوف يصبح ما في رأسهم بدداً ... ورأس سيدهم يلهو به القدمُ

لا تأمنوا لحكومات تعاهدكم ... بالقول لكنها بالفعل تنصرمُ

كم عاهدتنا حكومات وأنظمة ... بوحدة وبتحرير فما إلتزموا

فلا الحكومات تأتينا بما ألتزمتْ ... وواعدتنا به جهراً ولا القممُ

عزاؤنا أنّ شكوانا لخالقنا ... فأمرنا عند رب الكون بنحسمُ

قولوا لساستنا نصحاً وتبصرةً ... سلوا شعوبكمُ فالأمر أمرهمُ

كونوا كأنهارنا عند اختلافكم ... تبقى تواصل مجراها وتلتئمُ

إذا اختلفتم فلا تلقوا ضلالكم ... على مصائرنا لو ران خلفُكمُ

مجرىالفرات ومجري النيلمختلفٌ ... لكن مجراهما لم يلوه برَمُ

صانا بسقيهما أرضاً نعيش بها ... ووحّداها لتأتي شعبها النعمُ

النيل يمشي جنوبيا ومن عجب ... يمشي الفرات شمالياً ويلتطمُ

والسرُّ أنهما لله أمرهما ... لا للسياسة ماتتْ عندها القيمُ

توحّد الرافدان الغرُّ والتقيا ... بنهر يعرب لم تفصلها النظمُ

شط العروبة إكرام لبصرتنا ... فبصرة الخير منها الجودُ والكرمُ

شط بجنبيه يزهو النخل مرتفعا ... على رؤى ساسه إنجازهم كلمُ

على رؤى ساسة ماتت ضمائرهم ... من فرط تزويرهم بالحيرة ارتطموا

ساروا بحجتهم حُبلى بما حملت ... من الجدال عقيماً مثلما عقموا

أنهارنا خالفت آراء ساستنا ... توحدت وأنبرت بالعزم تقتحمُ

لا تجعلوا الشعب في أعناق ساسته ... لا دين عندهمُ يحمي ولا ذممُ

يا رافض الظلم في لاءات منطقه ... وللعدالة دوما قوله نعمُ

خذني إليك رسول الله يا سندي ... مللت دنيا بها قد ماتت العصمُ

اشكوا إليك رسول الله حيرتنا ... مما دهتنا به أيامُنا الظلمُ

نبكي على القدس لا نأبه بصرختها ... ولا نجيب لها ما خطه القلمُ

تريد صدقا وأحراراً لنجدتها ... للحسم والفصل يأتي سيفها الخذمُ

وتلك بغداد أردوها مخضبة ... من بعد ما أحرقوها فوقها جثموا

لجرح بغداد عمق لو يحدثكم ... له ضمائر خير الثائرين فمُ

بغداد جرحٌ قديمٌ نزفه شررٌ ... فجمر جرح الضحايا ليس ينكتمُ

وعد رماها به جلادها ومضى ... الا يضلل بها بيت ولا حرمُ

ألا يسود بها سلم يحصّنها ... الا ترى الأمن يرعاها فيغتنمُ

بـــأن تكـــون دمـــاراً لا حيـــاة بـــه ... وأرضـــها حجـــراً مـــن تحتـــه رَمَـــمُ

وجـاء غـربٌ يجـدد عهـد هجمتـه ... كمـا غزانـا قـديما سـيلها العـرمُ

يحـط أثقالـه في عقـر موطننـا ... بـالغزو بـدء وبـالإذلال يختـتمُ

لابـد مـن وحـدة تحمـي محارمنـا ... بـدونها لبنيهـا تهتـك الحُـرمُ

بـدون وحـدتنا تبقـى مطـامعهم ... كالنـار تأكلنـا عـدوا وتلـتهمُ

يـا مـن جعلتم شعار الحق ديدنكم ... كيف إرتديتم رداء الخوف مثلهمُ

لا تتركوا اليأس يلقاكم برعدته ... لطالمـا أقعـد الأحـرار يأسُـهُمُ

وحـالفوا شـهداء الحـق مـأثرةٌ ... مـن بعدكم شهداء الحق من لهمُ

السنن الإلهية تقضى بأن يكون البشر هم العامل في تسريع المسيرة أو إبطائها، ولكنهم غير قادرين على إيقاف المسيرة، لأنهم إذا تخلّوا عن مسؤولية المواصلة فيستولي ذلك غيرهم:

« في السنن الإلهية إرادة الإنسان هي صاحبة القرار. حين يدعو الإسلام إلى الجهاد: ﴿ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ فإنما يدعونا إلى بذل كل ما وسعنا من جهد للوصول أسرع إلى الهدف الإلهي. فالهدف الإلهي ثابت وقطعي. إن لم نعمل على تحقيقه فسيأتي آخرون ليعملوا به: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

الإمام الخامنئي

مذكرة " التسامح " والمشتركات بين السنة والشيعة

كشف القاضي السعودي السابق والكاتب الفقهي الشيخ محمد الدحيم أنه وقع في وقت سابق مذكرة بعنوان "التسامح" مع الشيخ حسن الصفار نصت على القواسم المشتركة بين الشيعة والسنة.

وقال الدحيم في إحدى الفضائيات انه يؤمن بمبدأ التسامح مع أهل الإسلام عمومًا. مبينًا أن مذكرة التسامح التي وقعها مع الشيخ الصفار دعت إلى العمل على ما يجمع الأمة من القواسم دون ما يفرقها.

وجاء كلام الدحيم مع تجدد الحديث عن ضرورة توقيع ميثاق شرف بين بشأن التعايش الطائفي (السنة والشيعة) في السعودية. وفي السياق نفسه كشف الشيخ الصفار خلال خطبة الجمعة عن بنود وثيقة تعايش مقترحة سبق ان ناقشها علماء كبار من الشيعة والسنة .

وقال الدحيم إن فكر بن تيمية أسهم في بعض الأفكار المتشددة لدى التكفيريين لكنهم اعتمدوا على آرائه بشكل خاطئ، موضحًا أنه من المفترض أن ينظر هؤلاء لمجمل إنتاج بن

تيمية الفقهي خصوصًا وأنه تراجع في آخر حياته عن كثير من آرائه المتشددة التي كتبها وهو في سن مبكرة.

وأكد الشيخ الدحيم أن بن تيمية لم يكن لديه مشكلة مع أهل القبلة بالإجمال، مبينًا أن هذا ما نقله عنه تلميذه الذهبي في آخر حياته.

وأوضح أن بن تيمية قام بعدد من المشاريع العلمية ولم يكملها، موضحًا أن أهم مشروعاته كان كتابه درء تناقض العقل والنقل، وهو أكثرها نضجًا.

وأشار إلى أن كثيرًا من الفقهاء المعاصرين ليس لديهم اطلاع على ما يحدث في العالم من حولهم، وليست عندهم روح العصر، مفترضًا أن من ليست لديه روح العصر فلا يبقى له سوى شروره. وتحدث الدحيم عن مبدأ فتح الذرائع في مقابل سد الذرائع الذي يعمل به غالب الفقهاء وحملة الفقه، وقال إنهم يتوهمون حدوث أشياء لم تحدث، وينظرون إلى المصالح الخاصة دون المصالح العامة.

ووصف الفقهاء الذين يتبعون قاعدة سد الذرائع بشكل أساسي بأنهم متخلفون علميًا وعاجزون فقهيًا وكسالى ذهنيًا، وهو ما جعلهم يغلقون على الناس أبواب المباح، بينما الأصل في الأمور الإباحة.

وشدد الدحيم على أن الوقوف على حراسة الأفكار قتل لها، مناديًا بحرية القراءة والاطلاع العام، ومبينًا أن منع الناس من

القراءة، والتفكير المتحيز سابقًا يؤثر في انطباع القارئ عن ما يقرأ، ويقلل مستوى المعرفة والتفكير لديه

أوروبا ودعت عصور الظلام بقراءة الحضارة الإسلامية

انتقد رئيس الوزراء الماليزي السابق مهاتير محمد قلّة إقبال المسلمين على القراءة رغم أن أوروبا ودّعت عصور الظلام بالاطلاع على الحضارة الإسلامية، مشيرًا إلى أنّهم ابتعدوا حاليًا عن الهدف الأساسي للقراءة، مثلما فعلوا في القرن الخامس عشر الميلادي، عندما أفتَى بعض العلماء بأن تكون القراءة لتوسيع معرفتهم الدينية فقط.

ففي مقال بعنوان "الإسلام والعلم"، وردًا على سؤال لأحد المعلقين، كتب مهاتير في مدونته على الإنترنت: إنّ "الأمة الإسلامية كانت متفوقة في مجالات العلم.. فلماذا تتخلف دول منظمة المؤتمر الإسلامي حاليًا في مجال العلم والتكنولوجيا؟"، بحسب صحيفة "ماليزيان ميرور".

ولتوضيح الأمر قال: إنّ المسلمين الأوائل نزل عليهم أمر الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم بالقراءة في قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، ولم يحدّد الوحي الذي نزل على الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) ما يجب على المسلمين قراءته. وأضاف: إنه "لم تكن هناك كتب عن الإسلام في ذلك الوقت، ولكن كان يوجد العديد من الكتب عن اللغة العبرية والديانة المسيحية.. كانت هناك كتب في العلوم الفلسفية اليونانية والرياضيات الهندية".

ولفت إلى أنّ المسلمين الأوائل قرأوا هذه الكتب، وترجموا جميع كتابات الإغريق والهنود، وغيرهم، ثم تابعوا الطريق من خلال بحوثهم الخاصة في هذه المجالات، مضيفًا: "وبذلك استفاد المسلمون في وقت مبكر من هذه المجالات، إضافة إلى المعارف التي اكتسبوها في ذلك الوقت".

وشدّد مهاتير، على أنه في الوقت الذي انغمس فيه الأوروبيون في خرافات "عصور الظلام"، رغم أنهم اعتنقوا المسيحية، فإن الحضارة الإسلامية المتفوقة سطعت على الأوروبيين حتى إسبانيا والبرتغال وصقلية واليونان، وأصبحت معظم دول أوروبا الشرقية تحت حكم المسلمين.

رئيس الوزراء الماليزي السابق شَبّه وضع المسلمين حاليًا بوضعهم في القرن الخامس عشر الميلادي من الحقبة المسيحية، فخلال هذا القرن فسّر بعض علماء المسلمين كلمة "اقرأ" في الآية القرآنية الكريمة بأنها القراءة الدينية فقط، ومن ثَمّ ركز علماء المسلمون والأطباء وغيرهم على دراسة الدين فقط، مهملين بقية العلوم.

في المقابل- يضيف مهاتير- كان من الملاحظ أن الأوروبيين قرروا اكتساب المعرفة من المسلمين في مختلف الدراسات، وتعلم الكهنة المسيحيون اللغة العربية، وبالتالي كانوا قادرين على الوصول إلى مكتبات قرطبة وبغداد وغيرها، وترجموا أعمال المسلمين إلى اللاتينية، ومنها إلى اللغات الأوروبية الأخرى.

هناك من يصر على الفتنة

ألقى الامين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصرالله كلمة عبر الشاشة في الاحتفال الذي أقيم في مجمع سيد الشهداء في الرويس في ذكرى أربعين الإمام الحسين.

وتناول السيد نصرالله الهجمات الارهابية ضد قوافل الزوار الى كربلاء في العراق. مشيرًا إلى أن هناك جهات تكفيرية اخترقها الأميركيون والإسرائيليون، مصرة على المضي في هذا الأسلوب. ودعا إلى عزل تلك الجهات ومنعها من تحقيق هدفها بخلق الفتنة. ولاسيما أنها تقدم أكبر خدمة لعدو هذه الأمة وتضع الأمة أمام اكبر خطر يمكن أن يواجهها.

وتوقف نصرالله عند حادثة الشيخ محمد المجذوب الذي خطف نفسه!! في مجدل عنجر، وما رافق تلك الحادثة من خطابات وممارسات واتهامات مذهبية وتحريضية. وقال «في هذه الحادثة الخطيرة أوشك البلد أن يتعرض إلى زلزال. وسأل: لماذا الآن، وفي وقت يتجه فيه البلد الى الهدوء، وفي وقت تهدد اسرائيل لبنان، ولمصلحة من هذا الأمر.

ونوه السيد نصرالله بموقف تيار «المستقبل» لأنه تصرف بمسؤولية وهدوء وشكر الموقف المسؤول للعديد من المسؤولين والمشايخ في الطائفة السنية، مبديًا أسفه من أن بعض العلماء لم يتصرفوا بتعقل! وشكر قوى الأمن الداخلي التي تابعت القضية وكشفت المسألة. وتوجه إلى اللبنانيين قائلا: يجب أن ننتبه إلى أن هناك من هو مُصِرّ على الفتنة بين اللبنانيين، وهناك من يعمل

لكي يحصل صراع مذهبي وطائفي، وهؤلاء لديهم مكر وأكاذيب، والمطلوب منا جميعًا أن نتخذ الحيطة والحذر.

واضاف قائلاً :" هناك جهات لم تيأس بعد من مشروع الفتنة، سنة واثنين وخمسة، تفجير الحسينيات وتفجير المساجد وتفجير المواكب وتفجير مقام الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء والقتل وغير ذلك، مضت سنوات على هذه الأمور ولكن يبدو أنّ هناك جهاتًا لم تيأس وهي مصرة على المضي في هذا الطريق. تستخدم لإيقاع الفتنة بين المسلمين العمليات الانتحارية والعبوات الناسفة والسيارات المفخخة، وأيضا تستخدم التحريض والإساءات التي لا يمكن أن تطاق تجاه رجال الدين ورموز معينة كما حصل قبل أسابيع. وأنا لا أقول هنا أنّ هؤلاء يريدون فقط إيقاع الفتنة بين الشيعة والسنة، هؤلاء يريدون نشر حالة تقاتل بين المسلمين عمومًا، بين الشيعة والسنة وبين السنة والسنة وبين الشيعة والشيعة، لكننا الآن نتحدث عن جهات تكفيرية معلومة الخلفية تستهدف فقط الشيعة أو الإيقاع بين الشيعة والسنة، كثير من عمليات القتل والعمليات الانتحارية التي نفذت في أفغانستان وباكستان وسابقًا في الجزائر وفي المغرب وحتى في العراق وفي محافظة الأنبار وفي كردستان وفي ديالا وفي الموصل، كثير من العمليات استهدفت مساجد سنية وعلماء سنة وشخصيات سنية بسبب الاختلاف في طريقة التفكير أو في بعض المفاهيم الفكرية والعقائدية أو نتيجة الإختلاف في النهج السياسي.

إذا هـذه الجهـات التكفيريـة هـي لا تكفـر الشـيعة فقـط بـل تكفر أيضًا كثيرًا من السنة، ولا تكتفي بالتكفير كموقف عقائدي أو فكري أو توصيفي وإنما تلجأ الى القتل وارتكاب المجازر واستباحة الدماء، ما حصل في اليومين الماضيين على طريق كربلاء وسقوط هذا العدد من الشهداء وتنفيذ هذا العدد من العمليات رغم كل التدابير الأمنية هذا يكشف أن هذه الجهات التكفيرية ليس لديها أي مانع أن تقتل الآلاف على طريق كربلاء، إنفاذا لمشروعها ومخططها وهذا واقع مؤلم ومحزن."

وحذر من احتمال خطف أو اغتيال عالم ديني أو شخصية سياسية من أي طائفة أو دين لايقاع فتنة بين المسلمين والمسيحيين من جهة أو الشيعة والسنة من جهة اخرى.

وأشار إلى أن من فعل هذا، هو إسرائيلي وقال: يجب التزام الحكمة في التصرف مع ردات الفعل، فالتريث في الفهم ومسارعة الحكومة والقيادات المختلفة لاستيعاب أي حديث ومعالجة ذيوله هذه من أهم المسؤوليات علينا في لبنان، يجب أن لا يغيب عن بالنا أن هناك من يريد لشعوب المنطقة أن تتقاتل وتتصارع، وبالتالي هل يجب أن ننجر ونصغي الى الشيطان؟!